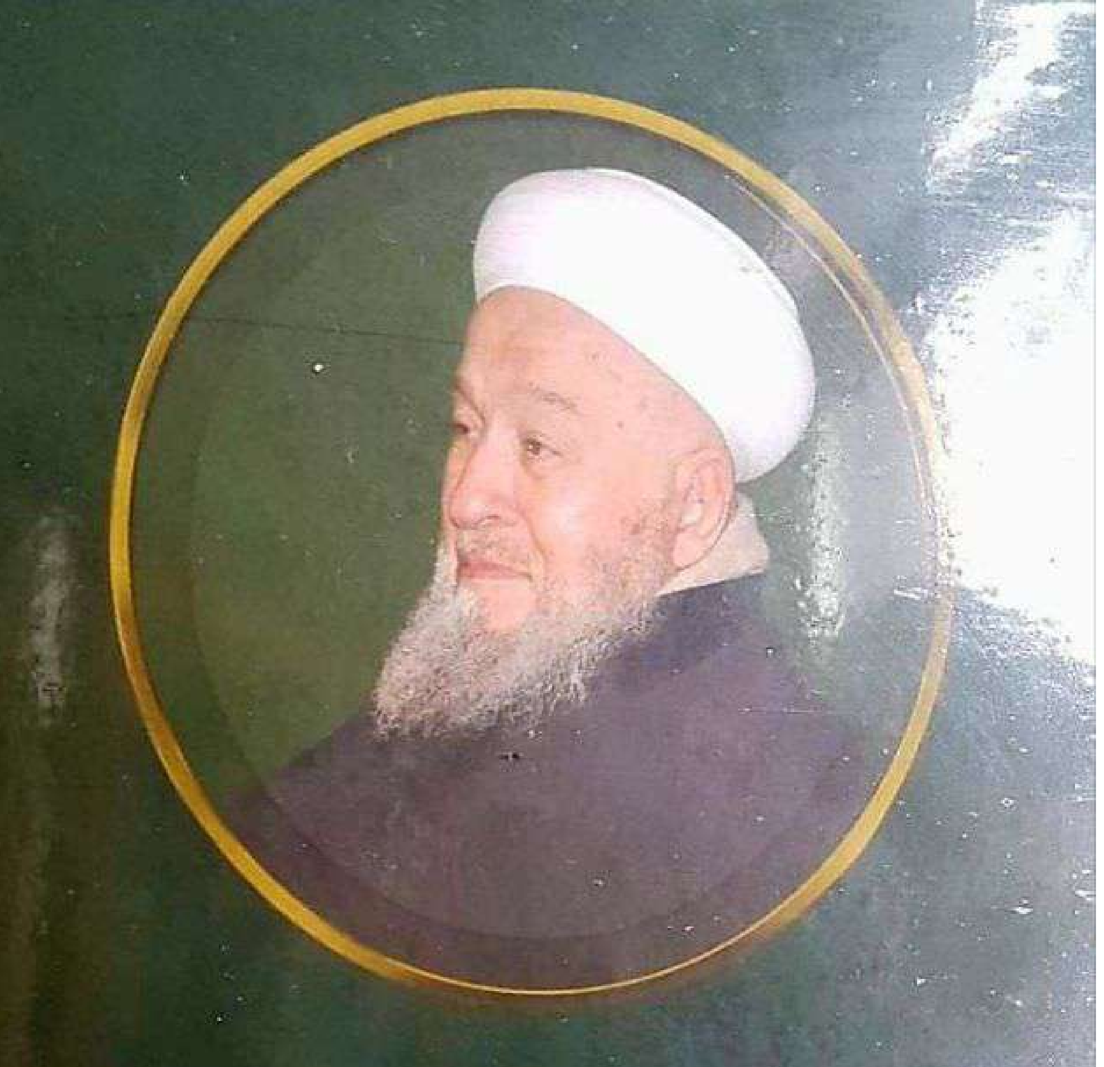


صفحات مشرقة

من حياة مولانا الشيخ محمود أفندي

النقشبندي المجددي الخالدي الأوفي

قدس الله سره العالي



الإهداء

إلى صاحب الأيادي البيضاء والقلب النّقيّ

إلى من رأينا فيه الإخلاص والنّقاء

إلى من علّمنا محبّة السّنّة النّبويّة بحاله وقالِه

إلى صاحب النّفع العميم والمنهج القويم

سيّدي الشّيخ محمود أفندي

وإلى طلّابه ومحبّيه ...

أقدّم هذا الكتاب.



مقدّمة

الحمد لله الّذي تفضّل علينا بنعمه الظّاهرة والباطنة، وأجلُّها نعمة الإيمان، والصّلاة والسّلام على الرّسول الأمين الّذي أنقذنا الله به من الضّلالة وهدانا به إلى كتابه الكريم ودينِه القويم، وعلى آله المطهّرين، وصحابته أجمعين الذين جاء مدحهم بنص الكتاب المبين:

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾[1]، وعلى من تبعهم بإحسان من المؤمنين الصّادقين والأئمّة المجتهدين والعلماء العاملين، لا سيّما من كانوا من حفظة الكتاب الكريم والأولياء المجدِّدين الّذين أناروا لنا الطّريق؛ صلاةً وسلاماً تامَّيْنِ إلى يوم الدّين.

١ـ المائدة: ١١٩.

أمّا بعد:

فإنّه لا يخفى على كلّ ذي لبّ في هذه الأيّام الأعاصيرُ الّتي تعصف بالمسلمين يُمنةً ويُسرةً، يحرّكها أعداء الدّين الّذين يكيدون للإسلام ليلًا ونهارًا، منفقين أموالَهم لا يألون جَهداً في سبيل صرف المسلمين عن دينهم.

ونجد أكثر ما يسعَون إليه لاهثين هو إفساد الشّباب المسلم، ليغدوا شباباً لا صلةَ له بالإسلام لا من بعيد ولا من قريب، ولا رابطَ يربِطهم بثوابت عقيدتهم؛ فيكونوا مسلمِين ضائعين لاهثين وراء سَفَاسِفِ الأمور، لا قدوةَ لهم؛ بَعيدين كلَّ البُعد عن جوهر الإسلام، حاولوا إغراق الشّباب المسلم ببحور مُتلاطِمة من الشّهوات والملذّات والمادّيّات الفارغة، لكي لا يكونوا من أمّة "اقرأ"، هذه الأمّة الّتي خضعَتْ لها الدّنيا من أقصاها إلى أقصاها في يوم من الأيام.

ومع الأسف فقد استجاب كثير من شباب المسلمين لهذه الإغراءات فتتبّعوا وفُتِنوا بمبادئ الغرب على حساب دينهم.

وفي حَوَالِك هذه الظّلُمات يأتي دور القدوة الصّالحة لتكون للمسلمين عمومًا وللشّباب خصوصًا، سياجًا وحافظًا ومنقذًا من نار تتأجّج، وتريد أن تأكل الأخضر واليابس، وتبتلع مجد أمّتنا التّليد.

تأتي سيرة العلماء الرّبّانيّين لتقول للمسلمين انتبهوا، فعندَكم مَجْدٌ أشدُّ بياضًا من الشّمس في ضحاها، لا تبتعدوا عن دينكم، الزموا كتابَ ربِّكم وسنّة نبيّكم، ففيهما سعادة الدّنيا والآخرة.

ومن هؤلاء العلماء الرّبّانيّين الّذين قضَوْا حياتهم في الدّعوة إلى الله وإنقاذ النّاس من ظلمات المادّيّة إلى نور الإسلام، الشّيخ محمود أفندي الأوفي عَلَمٌ من أعلام الدّعوة، وجبلٌ عظيم راسخ ثَبْتٌ أمام الأعاصير الهَوْجاء، واحتمى بظِلّه مئاتُ الآلاف من المسلمين، في زمان كادت الفتن أن تطحن برحاها قلوبَ المسلمين.

استطاع هذا العالم الرّبّانيّ أن يبنِيَ صروحًا شامخةً من المجد والعزّ، وينيرَ للأجيال طريقًا مستقيمًا، وما كان ذلك ليكونَ

لولا الصّبرُ العظيم والجهادُ الكبير الّذي قام به هذا العالمُ الرّبّانيّ وأمثالُه من العلماء.

فعندما نقف على سيرتهم ندرك جيّداً ما لاقَوْا في سبيل الله، بذلوا الغاليَ والرّخيص، صاموا نهارَهم وقاموا ليلَهم، تركوا الرّاحة والدَّعَة، وشمّروا عن ساعد الجِّدّ ليقدّموا لنا ويضربوا أروعَ الأمثلة في التّفاني بمحبّة الله.

كما ذكر مدير مكتبة عارف حكمت علي علوي رحمه الله في حق الشيخ محمود قولَ الشاعر:

وإذا كانت النّفوس كِباراً   تَعِبَتْ في مُرادها الأجسام[1]

حتّى آتَتْ ثمارُهم أُكُلَها وأنبتَتْ أرضُهم خيراتِها، فأصبحْتَ لا تلتفتُ يُمنةً أو يُسرةً إلّا رأيْتَ آثارَهم الطّيّبةَ من علماءَ ومدرّسينَ ومساجدَ ومدارسَ وطلابِ علمٍ انتشروا في جميع البلاد، وحُفّاظٍ للقرآن حملوه في صدورهم، فكانوا نوراً يمشي على الأرض ويبدّد الظّلْماء.

يَصْدُق في هؤلاء العلماء الرّبّانيّين قولُ الشّاعر:

١ـ المتنبي

يا سيّدَ الرُّسل طِب نفساً بطائفةٍ باعوا إلى الله أرواحاً وأبدانَا

أعطَوْا ضريبَتَهم للدِّين من دمِهم والنّاس تزعُم نصرَ الدِّين مجّانَا

أعطَوْا ضريبَتَهم صبراً على مِحَنٍ صاغت بِلالًا وعمّاراً وسَلمانَا

وهذا الكتابُ إضاءاتٌ لجوانبَ مشرقةٍ من حياة هذا العالم الرّبّانيّ محمود أفندي، توخّيْنا فيه الاختصارَ الغَيْرَ مُخِلّ، ليَسْهُل قراءتُه والانتفاعُ به.

وهو ترجمةٌ لبعض الكتب الّتي باللّغة التّركيّة عن الشّيخ محمود أفندي مع الأخذِ مشافهةً من بعض طلّابه المُقرّبين الّذين عاينوا عن كَثَبٍ حياةَ الشّيخ ـ فليس من رأى كَمَن سمِع ـ وعرضٌ لبعض أقوال وحِكَم الشّيخ مع تحليلها وشرحها.
نبدأ الكتابَ بمختصَرٍ عن حياة الشّيخ ثمّ بتفصيلٍ موضّحٍ للمختصَر.

واللّهَ أسألُ أن يرزقَنا الأدبَ مع أولياء الله، والانتفاعَ بهم أحياءً كانوا أو أمواتًا، وأن يرزقَنا حبَّهم ويحشرَنا معهم في مقعدِ صِدْقٍ عند مَليكٍ مُقتدِر.

والحمد لله رب العالمين

تقديم تلميذ الشيخ محمود أفندي

أحمد محمود الملقب بـ "جبّه لي"

الحمد لله ذي الجود والكرم، المفيض على عباده سوابغ النعم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد، خير مبعوث إلى العرب والعجم، وعلى آله وصحبه وسلم صلاة وسلاماً دائمَين، ادخرهما ليوم تزل فيه القدم، وسلم تسليما كثيرا بعدد النعم.

أما بعد...

فهذه رسالة مفيدة ومفيضة في بيان فضيلة شيخنا الشيخ محمود أفندي النقشبندي المجددي الخالدي، شكر الله تعالى سعي من جمعها بحسن تدبير، ورضي الله تعالى عمن قرأها بحسن طويةٍ وتقدير.

وماذا نبين من فضائل شيخنا محمود أفندي الذي كان لا ينام إلا دقائق، ولا يستريح إلا بالحقائق، ولا يتكلم إلا بالرقائق، ولا يشتغل إلا بإحياء سنن رسول الخلائق، جزاه الله تعالى عنا وعن المسلمين خيرا، ولا يريه في الدارين ضيراً.

ولا شك أنه ممن أحْيى السنة الميتة في بلاد تركيا منذ خمس وسبعين عاما تقريبا، فبهذا هو داخل في مضمون الدعاء النبوي، حيث يقول صلى الله تعالى عليه وسلم "نضّر الله وجه امرئ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلّغها..".

العلماء كثيرون، ولكن العاملين المخلصين أقل من القليل، خصوصاً في هذا الزمان أعزّ من الكبريت الأحمر. فالمفسرون والمحدثون والفقهاء يكتبون ويدرسون ويخطبون، ولكن ليس لأكثرهم نفع في الظاهر، ولا لكلامهم وقعٌ في القلوب. ولكن حضرة الشيخ لكونه عاملاً بما علم ومخلصاً في دعوته جعل الله لكلامه تأثيراً كبيراً، وأثره يرى في الشباب أصحاب اللّحى والعمائم والنساء المتحجبات بالجلابيب غير مختلطات بالرجال في شؤونهن، ونحن لا نؤثّر في أبنائنا وبناتنا، وحضرة الشيخ أثّر في حياة الملايين في توجيههم إلى الدين القويم والسنة المصطفوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والتحية، لأن علمَ الشيخ هو العلمُ النافع، كما روي في الحديث: "العلم علمان؛ علم في القلب، فذلك العلم النافع، وعلم على اللسان، فذلك حجة الله على ابن آدم".

فأسأل الله المولى الجليل أن يوفقنا للاستفادة من علوم شيخنا وتوجيهاته وتسليكاته إيانا سبل السلام، ويدخلنا الجنة بالسلام، بشفاعته وشفاعة أشياخه السابقين من مشايخ الطريقة الصديقية الخواجكانية النقشبندية المجددية الخالدية خصوصاً أدعو في هذا الباب، صاحب الرسالة صاحبنا في الله وحفيد المشايخ محمد علي المسعود أن يدخله ربه في شفاعة الشيخ محمود أفندي قدس سره، كما روي: "من أرخ عالماً دخل في شفاعته".

وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أحمد محمود الملقب بـ "جبه لي"

إسطنبول ٨ ذو القعدة ١٤٣٩

عائلة الشيخ محمود أفندي

في عائلة كريمة، ومن أبوَين اشتهرا بالصّلاح والتّقوى والزّهد، وفي قرية صغيرة ولد الشّيخ محمود أفندي.

قرية "طوشان لي" في بلدة "أوف" التّابعة لولاية "طرابزون"، هذه العائلة الصّغيرة في مبناها العظيمة في معناها، كانت ولا تزال حديث أهل القرية الشّاهدين على صلاحها وتقواها فما من أحد يحلّ ضيفاً على سكّان هذه القرية إلى يومنا هذا إلّا ويتحفونه بقصص عايَنَها الكبار منهم، وسمعها الصّغار منهم، عن هذه العائلة الطّيّبة وعن طفولة الشّيخ محمود، يتناقلونها ويفتخرون في سَردها، ولا يبخلون على ضيف حلّ في القرية بأن يتحفوه قبل الطّعام والشّراب بقصص عن والد الشّيخ محمود ووالدته، وعن أيّام طفولته في هذه القرية النّائية، الّتي أصبحت محطّ أنظار محبّي الشّيخ وطلّابه.

ولْنترك الحديث لأهل القرية يشرحون حالَ والدِ الشّيخِ محمود. السّيّد عليّ بن مصطفى أفندي، ويقصّون لنا شيئًا من تقواه

واستقامته، فقد كان السّيّد عليّ إمامًا لمسجد القرية، وكان يملك أرضًا زراعيّةً يعمل بها، شأنُه كسائر أهل القرية، وكانت أرضه تبعد عدّة كيلو مترات عن مسجد القرية، ورغم هذا لم يكن يتخلّف عن وقت من أوقات الصّلاة في المسجد، فكان يقطع المسافات الطّوال من أرضه إلى المسجد ليَؤُمّ النّاس، لا يثنيه برد الشّتاء ولا حرّ الصّيف ولا ألمُ الرّجلين عن ثواب إمامة النّاس، دون كلل أو ملل، محتسِبًا الأجرَ عند الله، وليس له أجر على إمامته إلّا من الله.

وكان رحمه الله مشغوفًا بالذّكر وقراءة القرآن مواظبًا عليهما، وفوق ذلك كان ممّن يُشهد لهم بالزّهد في هذه الدّنيا، والقناعة بما رزقه الله تعالى، كثيرَ الصدقة شاكرًا لأَنْعُم ربّه على الدّوام.

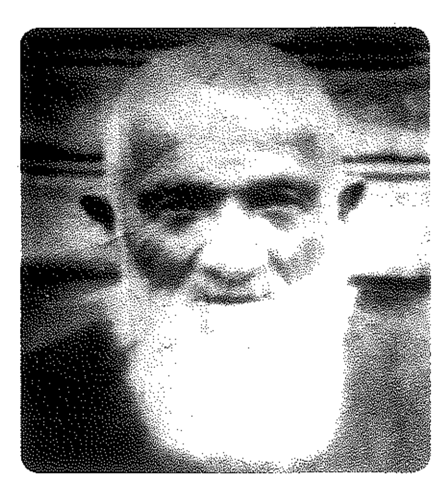
وقد أكرمه الله تعالى بأنّه توجّه إلى الحجاز لأداء فريضة الحجّ فوافَتْهُ المنيّة في أطهر بقعة وأكرم بلد، في مكّة المكرّمة، فصُلِّيَ عليه في بيت الله الحرام، ودُفن بجوار أمّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها في مقبرة "المعلاة".



صهر الشسخ محمود افندي واستاذه في العلوم الشرعية و المفتش العام لمدارس قرادنز الشيخ هاج دزسون فوزي كوان



احمد افندي من علماء قيصري الذي درس الشيخ محمود افندي على يديه الصرف والنحو والفارسية



علي افندي والد الشيخ محمود افندي

وأمّا والدة الشّيخ محمود فهي السّيّدة فاطمة بنت طوفان، امرأة اشتهرت في القرية بزهدها وورعها وحشمتها وحيائها، دائمة الذّكر في كلّ أحوالها.

ومما اشتهر عنها وعن تقواها أنّها كانت تسوق الأبقار من البيت إلى المرعى، حريصة كل الحرص على ألّا تقترب هذه الأبقار من الأراضي الزّراعيّة لأهل القرية، كي لا تأكل منها بدون إذن صاحبها، وإذا ما أكلت بقرة من مزروعات أهل القرية كانت تسارع هذه المرأة الصّالحة إلى صاحب الأرض لتطلب منه السّماح والعفو، ولا تكتفي بذلك، بل وتأتي لهم بشيء من حليب هذه الأبقار، زيادةً في طلب العفو والمسامحة، وخوفًا من الله تعالى.

وقد أكرم الله هذه المرأة الصّالحة فنالت أجرَ الشّهادة إثر سقوطها من مرتفع، وقد أخبرنا الصّادق المصدوق ﷺ أنّ المُتردّي شهيد، كما ورد في الحديث الّذي رواه الطّبرانيّ في المعجم الكبير: (والمتردّي شهيد).

وكانت مشيئة الله لهذين الزّوجين التّقيّيْن ولزمن طويل بعد زواجهما، أنّه كلّما حملت هذه الزّوجة الصّالحة يموت الولد في رحم أمّه قبل أيام من الولادة، ولمرّات عديدة.

فكان السّيّد عليّ كلّما أذّن المؤذّن يرفع يديه إلى السّماء ويدعو الله أن يرزقه ولداً صالحاً، اقتداءً بسنّة سيّدنا زكريّا عليه وعلى نبيّنا أفضل الصّلاة وأتمّ السّلام: ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[1]

وعندما أذن الرّحمن سبحانه بأن تحمل هذه المرأة التّقيّة بشيخنا محمود أفندي رأت في المنام أنّ القمرَ بدرٌ، وقد نزل في حجرها وانتشر منه نور عظيم ملأ أطرافًا واسعةً من الدّنيا، فحدّثت بذلك زوجَها فاستبشر بهذه الرّؤيا الطّيّبة خيراً.

وبعد هذه الرّؤيا المبشّرة وُلد الشّيخ محمود أفندي عام ١٣٤٥ - ١٩٢٧.

وكانت السّعادة عند والده لا توصف، إذ أخذ الطّفل مباشرةً إلى أحد العلماء المشهود لهم بالولاية في تلك المنطقة وهو الشّيخ "محمود" ليطلب منه البركة لهذا المولود، فرفع الشّيخ الطّفلَ وخاطبه قائلًا: "ليكن اسمُك مثلَ اسمي وعلمُك مثلَ علمي وتقواك أكثرَ من تقواي".

١- مريم: ٦.

بدأ الشّيخ محمود أفندي حفظَ القرآن الكريم منذ كان عمره ستّ سنوات عند أبيه وأمه، ورغم صِغر سنّه ونعومة أظفاره، لم تكن تفوته صلاة الجماعة في المسجد مع تمام النّوافل.

ومن المبشّرات في حقّ الشّيخ محمود أفندي أنّه عندما بلغ الحادية عشْرة من عمره، رأى أحدُ الأولياء والصّالحين في منامه وهو "الشّيخ محمد أفندي البلباني" صورة الشّيخ محمود أفندي وأنّه سيكون من الأولياء الّذين ينتفع بحالهم وقالِهم، فجاء هذا الشّيخ إلى بيت والد الشّيخ محمود أفندي وطلب مقابلة هذا الغلام صاحب الأحدَ عشرَ عاماً، وجلس معه أكثر من ساعتين، ثمّ طلب منه الدّعاء وانصرف.

وبعد أن أكمل الشّيخ محمود أفندي حفظَ القرآن الكريم في قريته عند والديه اتّجه إلى قيصري، ودرس هناك علم النّحو والصّرف واللّغة الفارسيّة عند الشّيخ "تسبيحي زاده" - أحد العلماء المشهورين في قيصري بعلومه وزهده وتقواه - وبعد أن أتمّ سنة في قيصري واصلًا ليلَه ونهارَه في طلب وتحصيل العلم اتّجه إلى قريته "أوف"، ودرس قراءات القرآن على يد الشّيخ "محمد رشدي عاشق قوتلي" الّذي كان أشهر عالم في علوم القرآن في زمانه.

ودرس عند الأستاذ "طورسون فيضي أفندي" علوم البلاغة والكلام والتّفسير والحديث والفقه وأصوله، وسائر العلوم العقليّة والنّقليّة، وأخذ الإجازة العلميّة ولم يتجاوز السّادسة عشْرة من عمره.

وبعد أخذِ الإجازة العلميّة تزوّج الشّيخ من ابنة خالته السيدة زهراء، فولدت له ثلاثة أطفال "أحمد وعبد الله وفاطمة".

وقد أكرمه الله بعد زواجه أن أصبح إماماً لمسجد القرية حُسبة دون أجر على ذلك.

وأمّا في الطّريقة النّقشبنديّة العلِيّة، فقد انتسب الشّيخ محمود أفندي أوّلًا إلى الشّيخ "أحمد أفندي مبسينولي" ولكنّه رأى في منامه بعض المشايخ يرشدونه ليسلك الطّريق عند الشّيخ علي حيدر أفندي، ومنذ ذلك الوقت وقعت محبّةُ الشّيخ علي حيدر في قلب الشّيخ محمود وتعلّقت روحُه بهذا المربّي المرشد الكبير قبل أن يراه.

وفي عام /١٩٤٩/م ماتت أمّ الشّيخ محمود أفندي السّيّدة فاطمة إثر سقوطها من شجرة عالية، فنالت بذلك أجر الشّهادة.

قبل خدمة المعسكر بسنوات بدأ الشيخ يدرس الطلاب في قريته العلوم الآلية والشرعية، والتحق الشّيخ بالخدمة العسكريّة عام /١٩٥٢/م بعد أن أعطى الشّيخ الإجازة العلميّة لأوّل مرّة لباكورة طلّابه الّذين تتلمذوا على يده.

وكانت خدمته العسكريّة في مدينة باندرما، وفي أثناء خدمته في هذه المدينة التقى الشّيخ محمود بشيخه الّذي كان يتُوق ويتشوّق لرؤيته. الشّيخ علي حيدر، ولعلّنا نسوق قصّة لقائهما عندما نفصّل القولَ إن شاء الله، لأنها قصة عجيبة ما سمعت مثلها في سالف العصور.

وفي عام /١٩٥٤/م أنهى الشّيخ خدمته العسكريّة وبدأ بالإمامة الرّسميّة في مسجد شيخ الإسلام إسماعيل آغا.

وفي هذا العام توجّه والد الشّيخ محمود أفندي الشيخ علي لأداء فريضة الحجّ، فأكرمه الله بالمَنيّة في مكّة المكرّمة كما أكرم جدّ الشّيخ محمود الشيخ مصطفى بالوفاة في مكّة، ودُفن بجوار أمّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها.

وفي عام /١٩٦٠م قامت في تركيّا انقلابات واضطرابات عسكريّة، وأصبحت أحوالُ البلاد صعبةً، فما غيّر ذلك من برنامج الشّيخ الدّعويّ، وما أثناه ذلك عن مواصلة الدّعوة إلى الله تعالى، رغم تلقّي الشّيخ كثيراً من التّهديدات الّتي تهدف إلى إيقاف الشّيخ عن عمله الدّعويّ.

تُوُفِّيَ الشّيخ علي حيدر في عام /١٩٦٠م، فبدأ الشّيخ محمود أفندي حَمْلَ مهمّة الطّريقة النّقشبنديّة على عاتقه، وكان يتوجّه إلى أداء العمرة والحجّ كلّما سنحت له الفرصة براً أو بحراً أو جوّاً، يحدوه الشّوق إلى بيت الله الحرام وزيارة نبيّنا العدنان عليه الصّلاة والسّلام.

وفي عام /١٩٧٦م أصيب الشّيخ أثناء توجّهه إلى مدينة قيصري بحادث مروريّ أدّى إلى كسر في عظم التّرقوة.

وفي سنة /١٩٨٠م حصلت انقلابات عسكريّة أخرى بين الأحزاب اليمينيّة واليساريّة، فقام بعض الإخوة بالدّعوة للمشاركة في الاقتتال بين الفئتين، والخوضِ في غمار هذه الفتنة الكبيرة، فكان الشّيخ محمود ينصح طلّابَه وأحبّاءَه بقوله:
"ليست مهمتنا قتل الناس، ولكن وظيفتنا أن نحيي النّاس

بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وأن نوصلهم إلى الله تعالى".

فكان الشّيخ محمود أفندي يخرج كلّ فترة إلى الدّعوة والتّبليغ والإرشاد مع إقبال النّاس الشّديد على مواعظه رغم الظّروف السّياسيّة والأمنيّة الصّعبة والمشدّدة.

وفي هذه الظّروف العصيبة أراد الانقلابيّون العسكريّون إبعاد الشّيخ محمود أفندي من مدينة اسطنبول إلى مدينة أسكيشهر "قرية بعيدة عن إسطنبول مسافة ٣٢٣ كم"، خوفًا من كثرة محبّي الشّيخ ومن انتشار طلّابه، فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلًا، حفظًا من الله سبحانه للشّيخ، فقد هيّأ الله مفتي اسطنبول في ذلك الوقت "صلاح الدّين قايا"، فوقف في وجههم مع الشّيخ وحالَ دون انتقاله.

فكان قائد الجيش الانقلابي آنذاك يقول: "يقولون أنّني أستطيع فعلَ كلّ شيء، والحقيقةُ أنّني ما استطعت أن أنقل إمامًا من مكانه".



بعض الصور للشيخ من اجل اوراق الرسمية

وفي عام /١٩٨٢/م قتل مفتي منطقة "اسكدار" باسطنبول، فوشى بعض الحاقدين على الشّيخ ليلصقوا التّهمة به، وأنّ الشّيخ محمود له يد في مقتل المفتي، فقدّر الله أن يكون للشّيخ محمود نصيباً من المدرسة اليوسُفِيّة، عندما أُخِذ الشّيخُ وأُودِع في الحبس لمدّة أسبوعين، ثمّ أُخْلِيَ سبيلُه عندما ظهرت براءة الشّيخ محمود أفندي وكُشفت مكيدةُ الكائدين.

توجّه الشّيخ محمود أفندي لزيارة دمشق لأوّل مرّة عام /١٩٨٨/م،

وفي عام /١٩٩٢/م توجّه إلى ألمانيا وانكلترا للدّعوة والتّبليغ، وفي نفس السّنة ذهب إلى بخارى وسمرقند وطاشكند لزيارة الشّيوخ والعلماء وأهل الفضل من الأحياء والأموات، وفي نفس السّنة قام الشّيخ محمود أفندي بزيارة لرئيس الدّولة "تورغوت أوزال" ووجّه له النّصيحة ووعظه لمدّة ثلاث ساعات دون أن يخاف لومةَ لائم.

وفي عام /١٩٩٣/م توفّيت زوجة الشّيخ محمود أفندي الّتي كانت تعاني من أمراض عديدة منذ ثلاثين سنة، فتزوّج الشّيخ بعدها من بنت الشّيخ منصور، وهم من أشراف قهرمان مرعش.

وفي عام /١٩٩٨/م استشهد زوج ابنته الشّيخ "خضر علي"، عندما نالته يد الغدر والحقد في جامع إسماعيل آغا في وقت الضّحى على يد أعداء الدّين.

فتأثّر الشيخ محمود تأثّراً كبيراً بهذه الحادثة، فقد كان الشّيخ خضر علي صهرَه ومن الطّلّاب المحبّبين إلى قلبه ومن خلفائه في الطريق.

أصاب الشّيخَ إثرَ ذلك وعكةٌ صحّيّةٌ اضطرّتْه لترك الدّروس العامّة للذّكور والإناث، بعد مسيرة طويلة من الجهاد الدّعوي، استطاع الشّيخ خلالها أن يبنيَ صروحاً شامخةً من المدارس والدّعاة رجالًا ونساءً، يحملون عبءَ الدّعوة ونشرِ الإسلام.

وقد أكرم الله الشّيخ بعد استشهاد صهره بالعمرة الشّريفة دامت أربعين يوماً.

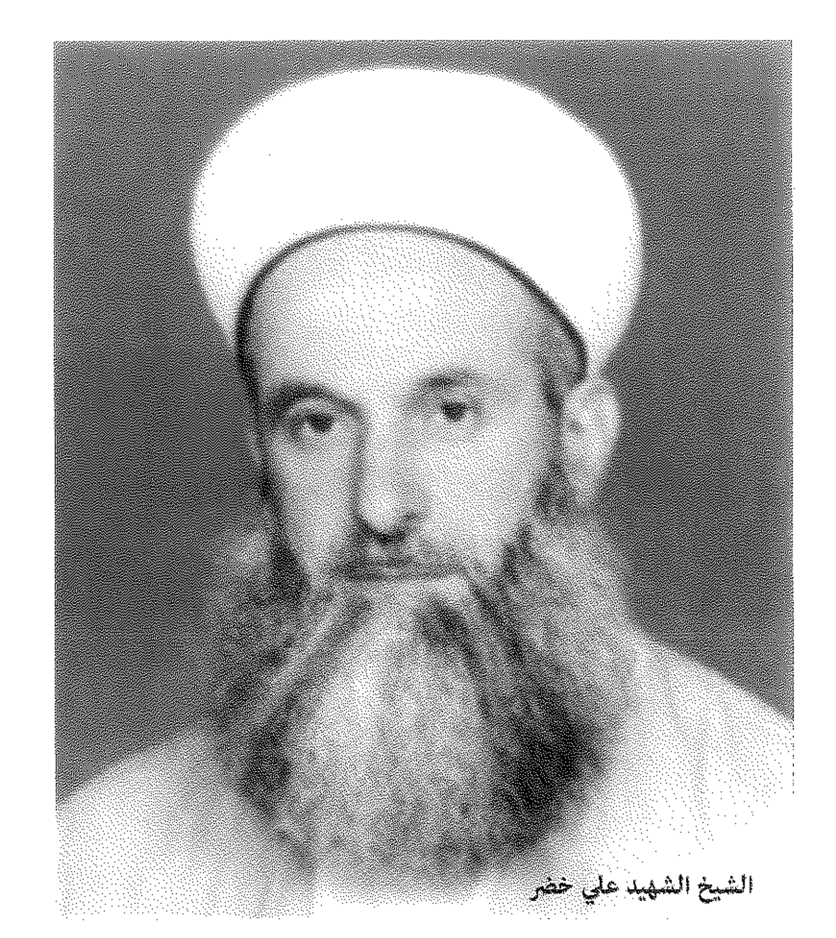
ومن ثَمّ توجّه الشّيخ إلى بخارى لزيارة الشّاه النّقشبنديّ والشّيوخ الأفاضل للمرّة الثّانية في بخارى وسمرقند وطشقند.

وفي عام /٢٠٠٥/م توجّه الشّيخ إلى الهند لزيارة الإمام الرّبّاني مجدد الألف الثاني أحمد الفاروقي السّهرهندي وبقيّة المشايخ من السلسلة النقشبندية.

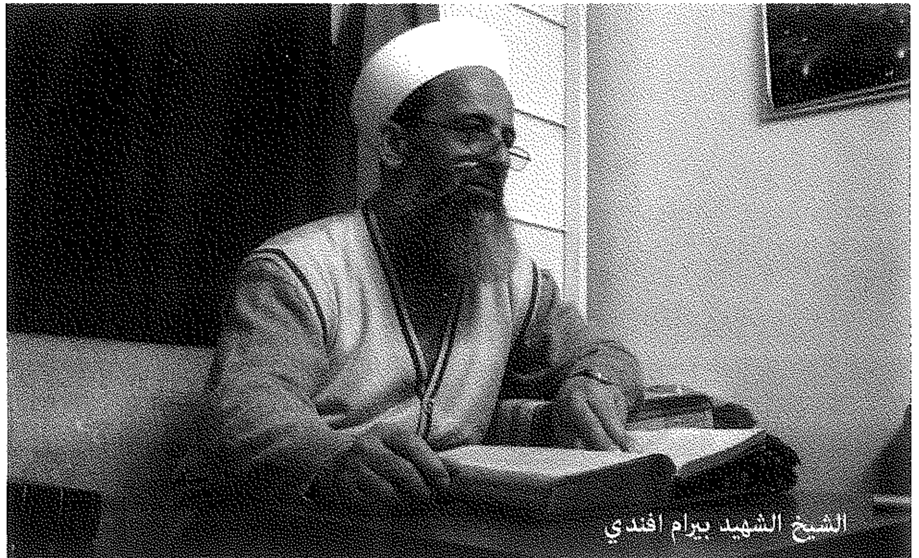
وفي نفس السّنة ذهب لأداء العمرة مع محبّيه وطلّابه وقد تجاوز عدد المرافقين للشّيخ الأربعين ألفاً في موكب مهيب ملؤوا المطاف بأجمعه، لم يُشهد مثلُه من قبل.

وفي عام /٢٠٠٦/م استشهد الشّيخ "بيرم علي" طعناً بالسّكّين، وهو من الأساتذة المشار إليهم بالبنان ومن الطّلّاب والدّعاة المميّزين عند الشّيخ محمود أفندي، طعن في مسجد إسماعيل آغا ونال الشّهادة كما نال الشّهادة من قبله الشّيخ خضر علي، وكان صاحب همّة ونشاط عظيمين، حتّى أنه أقْلَقَ أعداءَ الدّين خصوصاً الشيعة فقاموا بفِعلتهم الشّنيعة.

وكما حزن الشّيخ باستشهاد صهره، حزن حزناً شديداً باستشهاد تلميذه "بيرم"، الّذي كان يقول الشّيخ عنه أنّه: "مكتبة قيّمة"، فكان في العزاء من يقول له: "سلّم اللّه رأسك"، يردّ عليه الشّيخ كما كان يرد في تعزية صهره بقوله: "سلّم اللّه لنا إسلامنا وديننا"، مشيراً بذلك إلى أنّه لا فاجعة أعظم من



الشيخ الشهيد علي خضر



الشيخ الشهيد بيرام افندي

خسارة الدّين، فنرى الشّيخ في أشدّ الظّروف صعوبةً لا يترك النّصيحة والدّعوة إلى الله.

وحتّى الشّيخ محمود لم يَسلم من كيد أعداء الدّين، لِمَا له من أثر عظيم ونشاط في الدّعوة حيث قام بعض المبغضين والحاقدين برمي سيّارة الشّيخ محمود بالرّصاص ظنًّا منهم أنّ الشّيخ بداخلها، إذ كان الشّيخ في المشفى لتلقّي العلاج، فسلّم اللّهُ الشّيخَ من كيدِهم، حتّى أصاب الرّصاص المشفى الّذي كان يتعالج فيه، وما أن رأى الشّيخ محمود تحسّنًا في صحّته حتّى عاد للدّعوة في أنحاء تركيا صابراً على آلامه في سبيل الله.

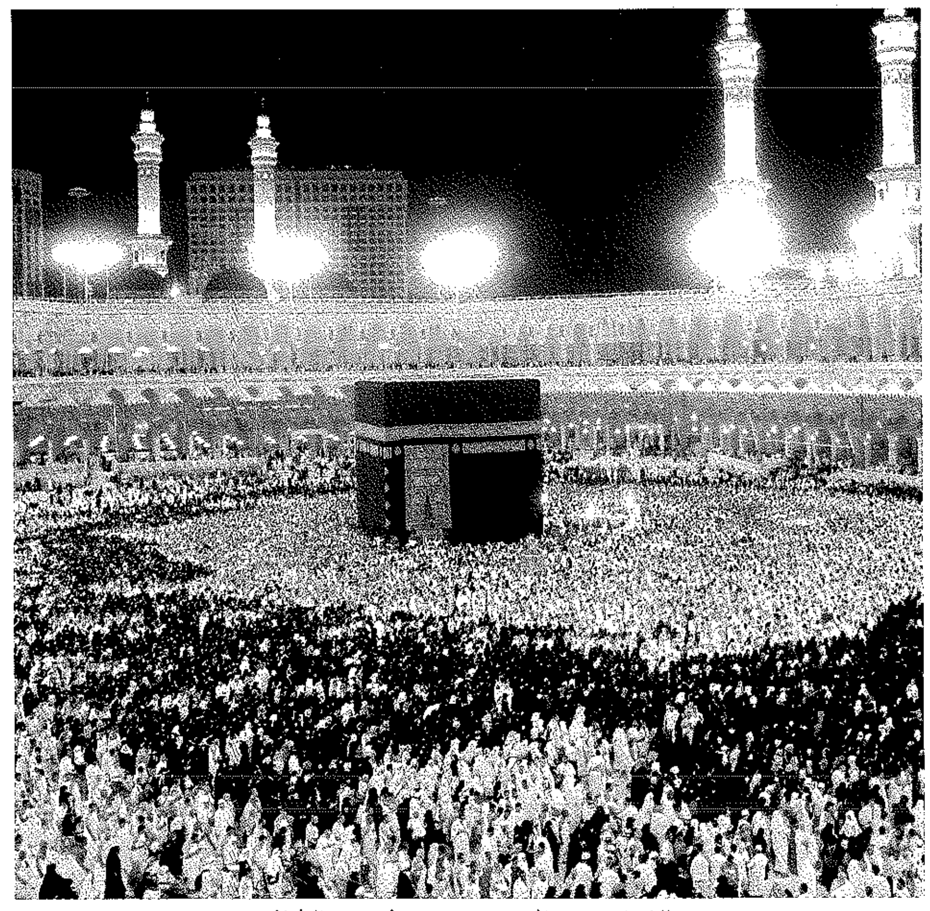
وفي عام /٢٠٠٩/م سافر الشّيخ مرّة أخرى إلى الشّام "مدينة دمشق"، فاستقبله فيها كبار العلماء وأهل الفضل، إذ كانوا يعرفون للشّيخ قدره واجتمع في مجلسه عدد كبير من العلماء، منهم أديب كلاس وعبد الرزاق الحلبي وسارية الرفاعي والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، رحم الله المتوفين وسلم الله الباقين.

التفصيل
مرحلة الصبا والشباب

أكثر العظماء تكون طفولتُهم مختلفةً في بعض النّواحي عن باقي الأطفال، وهذا ما كان من الشّيخ محمود أفندي في طفولته، فقد كان النّاس يتحيّرون في شأنه، كيف لهذا الطّفل أن يكون بهذا النّضوج والكمال!؟

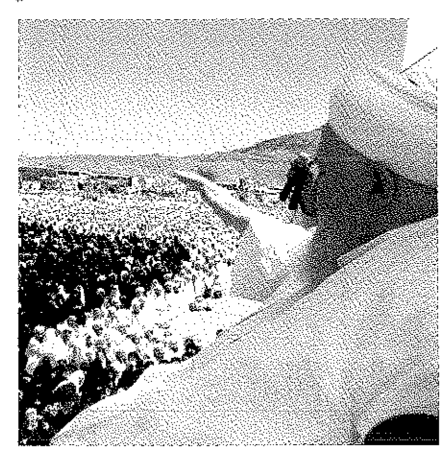
فكان أهل القرية يسمّون أولادهم باسم محمود لعلّ طفلَهم يكون مشابهًا للشّيخ محمود، الطّفل النّاضج المتوقّد الذّكاء.

وممّا يرويه أهل القرية أنّ الشّيخ محمود أصيب في طفولته برصاصة في فخذه في أحد الأعراس الّتي تعوّد أهلُها أن يطلقوا العيارات النّارية فيها، فذهب به عمّه إلى المشفى ولم تكن إمكانيّات المشفى كافية، ففعلوا العمليّة للشّيخ محمود بدون مخدّر وأخرجوا الرّصاصة من فخذه، وقد كان الشّيخ محمود بين الخامسة والسّادسة من عمره، والعجيب في الأمر أن هذا



الشيخ محمود افندي مع مريديه في صحن الطواف





الشيخ محمود افندي مع مريديه في وقفة عرفات

الطّفل كان متماسكاً هادئًا، وشفتاه تتحرّك بقراءة القرآن، وكأنّ العمليّة تُعمل لغيره.

وبعد العمليّة قال أحد الأطبّاء المشرفين الذي لا علاقة له بعالم المعنى: "هذا الطّفل إمّا أنّه سيكون وليًّا كبيراً أو شقيًّا كبيراً".

وقد كان لهذا الطّفل المتوقّد الذّكاء نصيباً كبيراً من مطالعة الكتب فقد كان يسهر اللّيالي الطّوال يقرأ ويطالع ولا ينام إلّا ساعاتٍ قليلةً، وقد لازمه حال محبّة القراءة والمطالعة حتّى وصل الثّمانين من عمره، فأقعده المرض عن هذه المطالعة لساعاتٍ طويلةٍ، ولكن ما أقعده المرض عن الذكر والمراقبة، حتى وصل خمسة وتسعين من سنه، أطال الله بقاءه للأمة وسائر علماء المسلمين المخلصين.

وقد كان من همّة الشّيخ أنّه في أوقات التّبليغ الّتي قد تطول عن الثّلاثة أسابيع لا ينام فيها إلّا قليلاً، يقضي اللّيل مطالعاً للكتب ومتهجّداً للّه، والنّهار داعياً مبلّغاً حتّى يُتْعِبَ مَن حولَه مِنَ الأحبّة والطّلّاب، ولا تزال همّة الشّيخ على أتمّها.

وهذه الهمّة العالية تُرى في الشّيخ في مواسم الحجّ والعمرة، فقد كان لا ينام إلّا قليلًا، يستيقظ للتّهجّد ويذكر الله إلى الصّباح، وبعد الضّحى يجلس الشّيخ للمراقبة والتّفكّر والتّدبّر، مطبّقًا قوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1].

وكان الشّيخ صوّامًا يكاد لا يفطر إلّا إذا جاءه الضّيوف، مقبِلًا على طلّابه وتربيتهم وتزكيتهم ما لم يكن عندَه درس عامّ، يقضي أوقاته في نفع المسلمين ونشر العلم.

١ـ آل عمران: ١٩١.

من هو الشيخ علي حيدر أفندي؟

الشّيخ علي حيدر الأخسخوي رحمه الله، من أفاضل علماء الدّولة العليّة العثمانيّة، مدرّس السّلاطين، درّس في حضور أربعة من السّلاطين، منهم السّلطان عبد الحميد الثاني، مُفتٍ على المذاهب الأربعة، وكان يقول: "لو ضاعت كتب المذاهب الأربعة لكتبتها من حفظي"، رئيس هيئة التأليف في المشيخة الإسلامية، وقد كان الشيخ المحقق زاهد الكوثري يعد الشيخ علي حيدر من شيوخه، لا يخاف في الله لومة لائم، أوذي في الله، وجاهد في الله حق جهاده، حتى سجن أربعة وعشرين مرة، وقُضِيَ في حقه بالقتل أربع مرات، ولكن نجاه الله في كل مرة، فقد قَدّر الله أن يعيش الشيخ، حتى يلتقي بالشيخ محمود، فيربيه أحسن التربية، ويبقيه للأمة مرشداً.

لقاء الشيخ محمود أفندي بشيخه علي حيدر أفندي في الخدمة العسكرية

توجّه الشّيخ محمود أفندي إلى مدينة "باندرما" قريب إلى مدينة بورصة لأداء الخدمة العسكريّة، وقبلَ ذهابه إلى القطعة العسكريّة جلس في أحد المساجد يقرأ القرآن الكريم، وقدّر الله أن يستمع لتلاوته رجل من المدينة وهو الحاجّ " أمرُ الله أفندي"، وكان من مريدي الشّيخ علي حيدر.

أعجب الحاجّ أمر الله بصوت الشّيخ العذب، فطلب منه أن يقرأ له ختمة كاملة في المسجد في شهر رمضان، ولكنّ الشّيخ محمود أخبره أنّه متوجّه لأداء الخدمة العسكريّة، فأعطاه الحاجّ أمر الله ورقةً مكتوبٌ فيها عنوانُ بيتِه، وطلب منه ألّا يمتنع عن زيارته إن لزمه أمرٌ ما.

وفي ذات يوم التقى الحاجّ أمر الله بضابط مسؤول في العسكريّة، فسأله الحاجّ أمر الله عن شابّ مواصفاته كذا وكذا، وأخذ يصف الشّيخ محمود أفندي فقال الضّابط بسرور:



الشيخ علي حيدار افندي استاذ الشيخ محمود افندي والمفتي على المذاهب الاربعة

"نعم عرفته، هو جندي، له احترام وتقدير كبير في القطعة العسكريّة"، وهو يقوم على الدّوام بالوعظ للجنود في وقت فراغه، والكلّ يحبّه ويحترمه، وحتّى الضّبّاط كانوا يحبّون مواعظه ويستمعون لها، وقد أخبر أحدُ الضّبّاط القائدَ العامَّ للقطعة العسكريّة، فحضر القائدُ موعظةَ الشّيخ خِفيةً وأُعجب بها أيّما إعجاب، ثمّ خلص إلى القول: "هذا المجنّد يعرف أمور الجيش أكثرَ منّا".

وفي أثناء الخدمة العسكريّة للشّيخ محمود أفندي في "باندرما" رأى الشّيخُ عليّ حيدر أفندي شيخَه "عليّ رضا البزّاز" المتوفى قبل أربعين سنة، المدفون في "باندرما" في الرّؤيا يقول له: "تعال إلى باندرما وخذ أمانتك".

فجاء الشّيخ عليّ حيدر أفندي مع كونه مريضًا متعبًا قد قرب سنه من مئة سنة بإشارة شيخه ورعاية أمره إلى "باندرما" وقال لمريديه: "ابحثوا عن جنديّ في العسكريّة صفته كذا وكذا"، فبدؤوا يبحثون عنه دون معرفة اسمه أو اسم عائلته، ممّا زاد الأمر صعوبةً.

ولْنترك بيانَ أمر اللّقاء بين الشّيخ محمود أفندي وشيخه عليّ حيدر للشّيخ محمود يبيّن لنا ذلك إذ يقول: "كنت منذ صغري أحترم العلماء المربّين وأجتهد في زيارتهم، وكنت في مدينة "باندرما" أسأل عن شيخ مربٍّ صادق لأسلك على يديه، فالتقيت بأحد الصّالحين واسمه الشّيخ خليل وسألته هل يعرف شيخًا مربّيًا، فأشار إلى قبر الشّيخ عليّ رضا البزّاز وقال لي: هذا، كان شيخًا كاملًا ومرشداً مكمّلًا، وخليفته حي يرشد الناس في اسطنبول ولكنّه الآن قدم إلى باندرما للزّيارة".

فكان بتقدير الله سبحانه أنّ الشّيخ عليّ حيدر أفندي يبحث عن الشّيخ محمود بسبب الرّؤيا، والشّيخ محمود يبحث عن الشّيخ عليّ حيدر أفندي بتقدير من الله ليسلك على يديه.

ومن قبلُ رأى الشّيخ محمود أفندي في الرّؤيا أنّه يسلك الطّريق على يد شيخ مربٍّ، ولكنه كان لا يعرف اسمه.

وذات مرّة ذهب الشّيخ محمود إلى مسجد ليصلّي الجمعة، وبعد انتهاء الصّلاة رأى الشّيخُ محمود شخصًا جالسًا في زاوية المسجد قد لبس الجبّة والعمامة، ذو هيبة ووقار مثل السّلاطين ويزيد عليهم في الهيبة والعظمة، فسأل عنه، فقالوا له: هو الشّيخ عليّ

حيدر أفندي، فعرف أنّه هو بغيته ومراده، وطلب مقابلته.
ولكنّهم قالوا له: يمكن لك أن تلتقيَ بالشّيخ ليلًا لأمور السّلامة العامّة، لأن الشيخ كان عليه تعقيبات وعيون بعد رفع الخلافة.

يقول الشّيخ محمود: "**وقد ذهبت مساءً لِلقاء الشّيخ عليّ حيدر ولكنّه نام باكراً في تلك اللّيلة لمرض ألمّ به فانتظرتُ حتّى الصّباح، وبعد الضحى والتقيت به في بيت بعض الإخوة الأكارم، وعندما رآني الشّيخ عليّ حيدر قال: لقد جاء الشّخص الّذي سيستلم الكتب منّي**".

وهذه إشارة رمزيّة عظيمة الدّلالة من الشّيخ عليّ حيدر تُبيّن المكانة العلميّة والرّوحيّة العالية للشّيخ محمود أفندي وتُبيّن أنّ هذا الطّريق إنّما هو علم وعمل مع طهارة القلب ممّا سوى اللّه.

ويتابع الشّيخ محمود أفندي بقوله: "**وبعد السّلام على الشّيخ جلسنا إلى مائدة الطّعام، وبدأ الشّيخ يسألني الأسئلة العلميّة في أصول الدّين والطّريق.**

وكان من جملة ما سألني عن قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّ﴾[1]

لماذا خاطب الله العجائز بالاستعفاف وأرشدهنّ إلى أنّ عدم وضع الثّياب أولى لهنّ؟

فأجبْتُ الشّيخَ بأنّ ذلك من باب سدّ الذّرائع، حتّى لا ترى الشّابّة المرأةَ العجوزَ عند وضع الثّياب فتقتديَ بها.

وعندها قال لي الشّيخ: كيف يمكن لك أن تنتقل إلى اسطنبول؟

فكان فرحي شديداً إذ أنّ الشّيخ أحَبّ لي أن أكون في اسطنبول قريباً منه، ولكنّي ما عرفت كيف أجيبه، فقال لي: "قل لقائد الجيش أن شيخي يطلب منكم أن تنقلوني إلى وظيفة في اسطنبول"، فلمّا عدت إلى القطعة العسكريّة في باندرما، وقلت لرئيس الجند قول شيخي، قبله بكرامة شيخي وقرّروا نقلي إلى ثكنة عسكريّة في اسطنبول في منطقة داوود باشا، فكان اللّقاء مع الشّيخ كثيراً ومتواصلاً، ولله الحمد".

١ـ النور: ٦٠.

بعد الخدمة العسكرية

وبعد انتهاء الشّيخ من الخدمة العسكريّة كان يزور شيخه عليّ حيدر أفندي بين الفينة والأخرى، فكان الشّيخ عليّ حيدر يعتني بالشّيخ محمود أفندي ويسأل عنه ويهتم بأمره كثيراً، ويلاطفه بالقول كلّما رآه.

وفي يوم من الأيام أرسل أهل قرية إلى الشّيخ محمود أفندي يطلبون منه أن يكون إماماً عندهم مقابل ستّين ليرة تركيّة، فأجاب الشّيخ عليّ حيدر عليهم بدلًا منه قائلًا: "لو أعطيتموه /٦٠/ ألفًا لَمَا استطعتم أن تأخذوه منّي ولو أنّ لي ألفَ ولد لافتديته بهم، فالولد الحقيقيّ ليس هو من يأتي من صُلبك بل من يتربّى عندك في الطّريق إلى الله".

وفي هذه الأثناء طلب الشّيخ عليّ حيدر من الشّيخ محمود أفندي أن يلتزم بإمامة مسجد إسماعيل آغا، وكان المسجد آنذاك خَرِبًا في كثير من أجزائه، يحتاج إلى إصلاح كثير، فرأى ابنُ الشّيخ عليّ حيدر واسمه (الشّريف) الشيخَ إسماعيل أفندي دفينَ

ساحة المسجد في الرّؤيا يخرج من القبر ويقول له: "لماذا لا ترمّمون المسجد، ماذا تنتظرون؟"، فقصّ هذه الرّؤيا على والده الشّيخ عليّ حيدر، فأمر الشّيخ تلامذته بأن يرمّموا المسجد حتى عاد جديداً صالحاً لإقامة الصّلوات والدّروس فيه.

وبعد انتهاء التّرميم استقرّ الشّيخ محمود في إمامة المسجد والخطبة فيه امتثالًا لأمر شيخه عليّ حيدر.

وأُنشئ للشّيخ محمود أفندي بيتٌ خلف المسجد وكانت هذه الإمامة فاتحة خير لاتّصال الشيخ محمود بشيخه ومداومة توجيه الشّيخ عليّ حيدر للشّيخ محمود وإعداده ليكون الخليفة له في الطّريق.

وكان الشيخ محمود يسرع في إرضاء شيخه، وينفّذ بدقّة وأدب ما يأمره به، وكان من أهمّ الوصايا الّتي وجّهها الشّيخ عليّ حيدر للشّيخ محمود قولُه: "يا بنيّ ادرس واحفظ الكتب، خصوصاً المكتوبات للإمام الرباني، وتعلّم العلم فإنّه في الأيّام القادمة ستتحمّل مسؤوليّة عظيمة تشغلك عن ذلك".

وكان من كلام الشّيخ عليّ حيدر لأحبابه: "إنّني أقضي الوقت الطّويل مع الشّيخ محمود أفندي بعد صلاة الفجر لكي ألقّنه أنوار الطّريق وأسرار الشّريعة شيئًا فشيئًا حتّى لا يكون ثقيلًا عليه، ولكي أهيِّئَه لتحمل الأعباء والمشاقّ الّتي سيواجهها".

وكان الشّيخ عليّ حيدر يقول للإخوان في بورصة: "من أمسك بيد الشّيخ محمود فكأنّما أمسك بيدي ومن أمسك بيدي فكأنّما أمسك بيد الشّيخ عليّ رضا البزّاز وهكذا إلى رسول الله ﷺ ".

وهذه إشارة لطيفة من الشّيخ عليّ حيدر للدّلالة على فضل الشّيخ محمود أفندي وتقديمه على غيره في خلافة الطّريق.

ومن لطيف ما يذكر من كلام الشّيخ عليّ حيدر وهو يربّي ويزكّي الشّيخ محمود أفندي قوله: "إذا أردنا إحضار الماء من الجبل إلى القرية فإنّه يتوجّب علينا استخدام أنابيب كثيرة توصل بعضها ببعض من نبع الماء إلى القرية، فإذا فقد أنبوب من هذه الأنابيب فإنه يتعذّر وصول الماء إلينا لانقطاع اتّصال الأنابيب بعضها ببعض، فهكذا أحوال الطّريق يجب أن يكون متصلًا".





وهذا مثال في غاية الدّقّة من الشّيخ عليّ حيدر يُبيّن فيه أهميّة الإسناد في كلّ شيء، فالإسناد شرف المؤمن كما قال أهل العلم، والانقطاع شرّ وشؤم.

وقد كان لاستقرار الشّيخ محمود أفندي في جامع إسماعيل آغا سببًا في تعارف الشّيوخ والعلماء من مدينة طرابزون وما حولها مع الشّيخ عليّ حيدر أفندي وسلوكهم على يده وانتشار العلم والطّريق في تلك المناطق.

وقد كان من همّة الشّيخ محمود في ذلك الوقت أنّه يحضر المسجد من منتصف الليل ويصلّي الصّبح في الجماعة ثمّ يعطي الدّروس للطّلّاب إلى قريب الظّهر، ثم يخرج إلى خارج المسجد للدّعوة والتّبليغ في المحالّ التّجاريّة، ويمرّ على البيوت يقوم بدعوتهم إلى الله وتعليمهم أمور دينهم ولا يرجع إلى بيته إلّا في وقت متأخر من الليل.

وقد زاد في مسؤوليّة الشّيخ محمود أنّ شيخه أوكل إليه مهمّة الطّريق والتّربية والتّوجيه إلى الطّلبة وتلقينهم أصول التّربية والتّزكية في الطّريق النّقشبنديّ.

وفي عام ١٩٦٠ م مات الشّيخ عليّ حيدر أفندي وعمره قريب إلى مئة وعشرين سنة بعد مسيرة طويلة مليئة بالدّعوة والإرشاد والعلم والتّزكية والمجاهدة في سبيل الله، وقد كانت جنازتُه جنازةً مشهودةً حضرها عشرات الآلاف من العلماء والوجهاء والصّالحين.

والحال أن في ذلك الوقت لا يوجد أسباب الإعلام، ولكن الله ساق الألوف بإلهام رباني، حتى خافت الحكومة من هذا التجمع الكبير، ومنع دفنه في القبر المهيأ له في ساحة مسجد السلطان محمد الفاتح، ونقلوه إلى مقبرة الشهداء ودفن فيها.

وكان الشّيخ محمود أفندي من الّذين قاموا بتغسيل الشّيخ عليّ حيدر أفندي وحمل الجنازة على كتفه من جامع ياووز سليم إلى مقبرة الشّهداء حيث دفن فيها طيّب الله ثراه وأعلى قدره، وجزاه عنا وعن المسلمين خيراً.

الخدمة العالية للشيخ محمود أفندي ومنهجه في نشر العلم والإرشاد

بعد وفاة الشّيخ عليّ حيدر أفندي بدأت مرحلة جديدة للشّيخ محمود أفندي زادت فيها مسؤوليّاته والأعباءُ الملقاة على عاتقه في الدّروس العلميّة، وفي الطّريقة والتّزكية والتّوجيه.

ولأداء هذه الأمانة حوّل الشّيخ محمود مسجد إسماعيل آغا إلى مسجد وتكيّة للعبادة، ومدرسة جامعة تخرج المدرّسين والعلماء، وتصدر الأساتذة إلى جميع أنحاء تركيا.

وقد اعتمد الشّيخ في منهجه العلميّ على الطّريقة العثمانيّة في إلقاء الدّروس، وهي التّركيز على حفظ المتون ودراسة أمّهات الكتب، وكان كثير من الأئمّة والوُعّاظ والمُفْتُون يحضرون عنده الدّروس لينهلوا من علومه.

وقبل كلّ هذا كان يحثّ طلّابه على الإخلاص في طلب العلم، وتصحيح النّيّة مع الله، مع العلم أنّه كان من الصّعوبة البالغة في ذلك الوقت نشر العلم وتعليمه، رغم هذا فقد جاء جهاد الشّيخ

محمود في ذلك الوقت الحرج ليعطينا درسًا بالغًا في التّوكّل والاعتماد على الله، ففي هذه الأثناء أُعدِم كثيرٌ من العلماء ونُفِيَ الكثيرُ منهم، وحُجِر عليهم وعُذّبوا وفُتنوا، وتحوّلت كثير من المساجد إلى مستودعاتٍ للأعلاف وحظائرَ للبهائم، ووصل الأمر إلى أن حُوّلت بعض المساجد إلى أماكن للرّقص والفجور، وأُبدلت الأحرف العربيّة باللّاتينيّة، وبسبب هذا أصبح النّاس لا يستطيعون الرّجوع إلى الكتب الإسلاميّة، وبُذلت جهودٌ كبيرةٌ لإبعاد النّاس عن اللّغة العربيّة والدّين والعلوم الشّرعيّة، إذ كان أغلب مقاليد الأمور بأيدي الحاقدين على الدّين وأهله، يعيثون في الأرض فسادًا، ويكيدون للإسلام وأهله، ويبغون في الأرض الفسادَ.

وأصبح كثيرٌ من الشّباب لا يعرف شيئًا من أمور الدّين وأركانه فضلًا عن معرفتهم بأمور الشّريعة وأصول العبادات من صومٍ وصلاةٍ وغيرِها.

وقامت وسائل الإعلام المأجورة تفتري على أهل العلم وتنسب إليهم الأشياء المشينة وتصفهم بالغباء وعدم الانضباط، حتّى

ارتسمت هذه الصورة في عقول كثير من المسلمين عن أهل العلم والملتزمين بالمظاهر الإسلاميّة من لحية وعمامة أو امرأة محجّبة.

وبدأت ظاهرة خلع الحجاب عن النّساء قسراً، وحبَّب الإعلام المشبوهُ الناسَ باتّباع أوروبا بعاداتها وتقاليدها ولباسها، وزيَّن لهم ذلك.

وحُظر على المرأة المحجّبة قبولَها في أيّ دائرة حكوميّة أو تعليميّة أو وظيفيّة.

وكان الّذي يريد أن يُعلِّم أو يتعلّم القرآن الكريم أو العلوم الشّرعيّة مضطراًّ أن يختبئ في المقابر والمغارات حتّى لا يُعلَم حالُه فيُقتلَ أو يُحبس.

وحُظرت الكتب الشّرعيّة حتّى أصبح اقتناؤها سبباً كافياً لأخذ صاحبها وزجّه في غياهب السّجون دون أن يستطيع أحد من أهله السّؤال عنه.

في خضمِّ هذا البحر الهائج المائج المتلاطم الأمواج شمّر الشّيخ محمود أفندي عن ساعد الجِدّ وأخذ على عاتقه أمر نشر العلم لا يخاف في الله لومةَ لائم ولا سلطانٍ جائرٍ، بدأ مرحلة صعبة

لإعادة المساجد إلى أماكن عبادة، والمدارس لتستقبل الطّلّاب وتُخَرِّجَ الحفّاظ.

فمن السّهل أن تنبت زهرةً في حديقةٍ غنّاءَ ذاتِ أشجار ومياه، ولكن من الصّعب جداً أن تُنبت وردةً في صحراءَ قاحلةٍ محرقةٍ.

لذلك تُعدّ هذه المرحلة من حياة الشّيخ محمود أفندي مرحلةً مهمّةً ومصيريّةً مليئةً بالمخاطر الّتي هانت على الشّيخ محمود مقابل محبّة الله ورسوله، وتفانيه لنشر دين الله وإعلاء كلمة الحقّ، وإيقاظ النّاس وإنقاذهم من موت الإيمان في قلوبهم، إلى إحياء جذوته وتقوية أَرُومته

وإذا كانت النّفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

ومن الطّبيعيّ أن يكون الشّيخ محمود هدفاً لأعداء الدّين ـ الّذين كانت أغلب مقاليد الأمور بأيديهم ـ لِمَا له من إرادةٍ قويّةٍ وعزيمةٍ صلبةٍ لا تقف أمامها الجبال.

وقف الشّيخ محمود في هذه المحنة لم ينحنِ، وثبت بثباته كثيرٌ من طلّابه ومحبّيه الّذين كانوا يعتبرونه قدوةً لهم في هذه الظّروف الصّعبة، فلو مال لمالوا ولو خضع لخضعوا، ولكنّ اللهَ جعل

الشّيخَ محمود أفندي سبباً لهم ليثبُتوا على دينهم ويداوموا على تعلّم العلم وعدم كتمانه، فقد استطاع في غضون أربعين سنة أن يربّيَ آلافاً من الأساتذة والمدرِّسات، وعشرات الآلاف من الطّلّاب المحبّين لدينهم الملتزمين بسنّة نبيّهم ﷺ، واستطاع أن يحبّب الملايين من النّاس باللّحية والحجاب والمظاهر الإسلاميّة، بعد أن كانت تلك المظاهر علامة للتّخلّف والغباء عند النّاس بفضل القنوات التّلفزيونيّة المغرضة والمعادية للدّين كما أسلفنا، حتّى أنّ الشّيخ محمود كان يأمر بناتِه ومن يخصّه أن يلبسوا الجلباب (الشّرشف) ويمشوا في الشّارع، لا لشيء إلّا لينتشر هذا اللّباس بين النّساء ويكونَ أمراً عاديًّا وليس شاذًّا بينهنّ.

ومن طريف ما يذكر أنّ رجلًا من مدينة "سيواس" تبعد عن اسطنبول /٩٠٠/ كيلومتر قال بحضرة أحد طلّاب الشّيخ محمود أفندي: أنا لا أوفر لحيتي إلّا إذا جاء الشّيخ محمود أفندي إليّ وطلب منّي عدم حلقها، فوصل الخبر إلى الشّيخ محمود، فما كان منه إلا أن ركب الحافلة وتوجّه إلى "سيواس" للقاء ذلك الرّجل وليطلب منه تطبيق السّنّة بتوفير اللّحية، فقال له طلّابه: يا

سيّدي، أتقطع كلّ هذه المسافة سفراً من أجل رجل تكلّم بكلمة!؟

فقال لهم الشّيخ: "**ومالي ألّا أتعبَ نفسي مسافراً في سبيل الله!؟ ألا تستحقّ سنّة رسول الله أن نُتعبَ أنفسنا من أجل أن نحبّب النّاس بها**".

ولمّا وصل الشّيخ محمود إلى "سيواس" توجّه إلى ذلك الرّجل في بيته، وعندما رآه الرجل انفجر بالبكاء وعاهد الشّيخَ ألّا يحلق لحيته، بل ويلتزمَ بجميع سنن النّبيّ الأعظم ﷺ.

وكان الشيخ يقول: "**لو علمت أنه في روسيا امرأة تريد أن ترتدي الجلباب كما أمر الله لذهبت إليها للوعظ وتهيئة الأسباب لذلك**".

وكان حريصاً على إحياء السنن وإماتة البدع إلى درجة أنه كاد يتلف نفسه في خدمة هذا المبدأ الشريف حتى كان يمنعه هذا الأمر من طعامه وشرابه ونومه.

احترام العلماء ونصرتهم

كان الشّيخ محمود أفندي يعتني بأهل العلم، ويعظّمهم ويقضي حوائجهم بنفسه، ومثل ذلك لحفّاظ القرآن وإن لم يكونوا من أهل العلم.

فإنّما يَعرِف الفضلَ لأهل الفضل ذَوُو الفضل، كما قال سيّدنا ابن عبّاس رضي الله عنهما، فإذا حضر أحدُ أهلِ العلم مجلسَه قدّمه واهتمّ ورحّب به، وبيّن فضله وقَدْرَه وشيّعَه إلى باب المسجد عند خروجه.

وكان يأمر طلّابه بتوقير أهل العلم واحترامهم والاستفادة من علمهم وحالهم، والأدب معهم في جميع الأحوال.

وكثيراً ما كان يوصي بعلماء الشّام لا سيّما في تلك المحنة الّتي مرّت على علماء الشام من ظلم وتهجير وتقتيل، فقد أوصى الشّيخ طلّابه بمناصرتهم واستقبالهم وخدمتهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، وأن يكونوا أنصاراً لهم كما كان أصحاب النّبيّ ﷺ أنصاراً لمن هاجر إليهم.

وكان الشّيخ محمود لا يُقصّر في مساعدة محتاج من طلبة العلم ولو من ماله الخاصّ أو من مال عائلته، وقد كانت زوجته الصّالحة خيرَ عونٍ له في ذلك.

فمن جميل ما يذكر، ما رواه أحد طلّاب الشّيخ راويًا لنا ما وقع له من ضيق في المعيشة، كادت أن تتسبب في تركه لطلب العلم/ وكيف أنّ الشّيخ محمود كان سببًا في ثباته على الدّراسة فيقول: "كنتُ أبًا لخمسة أولاد وكنت أعمل مؤذّنًا في مسجد صغير، وفي كلّ يوم آتي إلى مسجد إسماعيل آغا لأحفظ القرآن وألتقي بالشّيخ محمود فآخذَ منه العلم من فقه وتفسير وحديث وآداب ولغة عربيّة، وقد أُعْسِرْتُ في يوم من الأيّام ولم أستطع دفع إيجار بيتي، فقرّرت أن أتركَ الدّراسة وأن أعمل لكي أستطيع دفع إيجار البيت، فأخبرتُ الشّيخ محمود أفندي بذلك وطلبت منه أن يسامحني ويأذن لي بترك الدّراسة، فحزن حزنًا شديدًا لأنّني سأترك طلب العلم، وقال لي: **"انتظر هنا ولا تذهب حتّى أرجعَ إليك"**

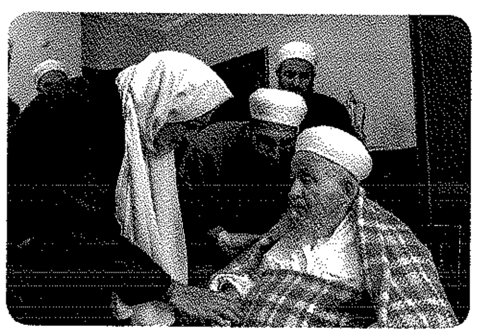
وذهب الشّيخ إلى بيته ثمّ رجع إليّ وهو يحمل سِوارَين من ذهب وقدّمهما لي وقال: **"هذا الذّهب لزوجتي، وهي تهبُهُما لك طيّبةً به**



الشيخ عبد الهادي محمد الخرسة من علماء الشام 2009.06.06



الشيخ السيد محمد ناجي من حما ة سورية وقد اكمل مائة سنة 2016.10.19



الشيخ اسامة عبد الكريم الرفاعي
رئيس هيئة العلماء السوريين في تركي

نفسُها، بِعْهُما وادفع إيجار بيتك لشهور طويلة وداوِم على طلب العلم".

وكان يبيّن لطلّابه أنّ احترام أهل العلم وتوقيرَهم لا يقتصر على الأحياء منهم فحسب، بل وحتّى الّذين انتقلوا إلى الدّار الآخرة من أهل العلم والولاية، فقد قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1].

فلم يخصّ اللهُ الأحياءَ من الأولياء دون الأموات، فتَبْقَى لأهل العلم والولاية حُرمةٌ في حياتهم ولا تنقص أبداً بعد موتهم، بل تزيد بعد الموت لانقطاعهم عن علائق الدّنيا.

فقد كان الشّيخ محمود يزور أهل العلم والولاية في قبورهم بكلّ احترام وأدب تامّ ظاهراً وباطناً، وعند زيارته لقبر الإمام أبي منصور الماتريديّ إمام أهل السّنة والجماعة في بلاد أوزباكستان، رأى المكان غيرَ معتنىً به، فطلب من بعض طلّابه أن يُصلِحوه وأن يَبسُطوا السّجّاد داخل المزار للإمام أبي منصور الماتريدي وما زال هذا السّجّاد موجوداً ومستعملاً في ذلك المقام.

١ـ يونس: ٦٢.

منهج الشيخ محمود في التعليم

كان الشّيخ محمود يتدرّج مع طلّابه في تلقينهم العلم، فيبدأ معهم بمبادئ العلوم الأساسيّة ويرفع شيئًا فشيئًا من مستوى الكتب والدّروس حتّى يستطيعوا المداومة والفهم، وما كان يحمّل طالبًا فوق مستواه العقليّ حتّى لا يكون سببًا في نفرة هذا الطّالب وابتعاده عن طلب العلم أو شعوره باليأس والإحباط.

وكان يحثّ النّاس على التّعلّم صغيرَهم وكبيرَهم ولو بعلوم بسيطة لا تشكّل لهم عبئًا كبيرًا، المهمّ أن يندرجوا في سلك أهل العلم.

وكان يتقرب إليهم بقوله: "**ليس فهم القرآن صعبًا، بل تقرؤون من علوم الصرف والنحو أشياء بسيطة وتبدؤون بفهم بعض الآيات الميسرة، ثم إذا ذقتم حلاوة تفسير كلام الله تعالى لا تتركون هذا العلم أبدًا**".

وكان كثيرًا ما يتوجّه إلى الدّكاكين والمحالّ التّجاريّة الّتي حوله ويقول لهم: "**جئت أزور جيراني**"، فيلاطفهم القول ويتبادل

معهم الحديث النّافع، ثم يسلّم عليهم قبل الانصراف قائلًا: "جاء دوركم في الزّيارة، تفضّلوا لزيارتنا في بيت الله"، فيكسب بذلك محبّة النّاس ويقبلون على المسجد يتعلّمون الفقه والقرآن وأمور الدّين.

ولم يُغفِل الشّيخ جانب النّساء، فقد حثّهنّ على طلب العلم وحفظ القرآن والتّفقّه في الدّين اقتداءً بأمّ المؤمنين عائشة الصّدّيقة رضي الله عنها.

فقد كان الشّيخ محمود يأمر الرّجال أن يعلّموا زوجاتِهم بأنفسهم، وهؤلاء الزّوجات يُعَلِّمْنَ أبناءَهنّ وبناتِهنّ، وهكذا حتّى تستمرّ مسيرة العلم ولا تنقطع.

غصونُ الوَرْد ترمز للمعالي ... إذا عبقت شذى عُرْفٍ ثمين

كَعِلْمِ البِنت يُثمر كلَّ حينٍ ... إذا يُسقى بأخلاقٍ ودين[1]

فبِحمدِ الله انتشر أمر تعليم النّساء بكثرة في ذلك الوقت إلى هذا الزّمان، وكثرت المدارس النّسائيّة، وانتشرت المعلّمات الحافظات الفقيهات في كل أنحاء تركيا، يعلّمْنَ النّساء ويربِّينَ

١ـ للشيخ: محمد سعيد مسعود (مفتي مدينة الباب).



بعض الصور من مراسيم تخريج الطلاب









البنات التّربية الإسلاميّة، ليغدوا هؤلاء البنات أمهاتٍ وزوجاتٍ ومربياتٍ يُنشِئْنَ جيلًا وَقوراً مُحباً للدّين والعلم معظّماً لشعائر الله.

على خلاف ما أراده أعداء الدّين لهذا الجيل من تضييع لهويّته الإسلاميّة وانغماسه بالشّهوات وانهماكه بسفاسف الأمور.

فآتت جهود الشّيخ محمود ثمارَها في هذا المضمار ولله الحمد.

وكم كان الشّيخ محمود يضرب لطلّابه الأمثلة الرّائعة في تحبيبهم لطلب العلم، ومن تلك الأمثلة الّتي حفظها طلّابه عنه قولُه: "**جسر البوسفور يحتاج إلى مهندسين أكفاء وعمّال مهرة حتّى يغدو جسراً قويّاً تمشي فوقه العربات والمركبات، وكذلك هذا الدّين، بحاجة إلى علماءَ أفذاذٍ مخلصين ربّانيّين لكي يوصلوه إلى النّاس**".

وكان يقول لطلّابه: "**أنتم الغيوم المليئة بالأمطار للأراضي القاحلة العطشى، وأنتم أعمدة المسجد**"، يريد بذلك أن يدرك الطّلّاب مدى مسؤوليّتهم الكبيرة والعظيمة وأهميّتها.

وكثيراً ما كان يقول لطلّابه: "**لو بقي من عمري ثلاثة أنفاس فإنّي سأقول لكم فيها: اقرؤوا اقرؤوا اقرؤوا، فكلّ من دون**

التّسعين منكم لا بدّ له أن يطلب العلم ويقرأ"، يريد الشّيخ بهذه اللّطيفة أن يقبلوا جميعًا على تعلّم العلم.

ومن كلامه المشهور عند طلّابه قولُه: **"مهما بلغ عمرُنا يجب علينا أن نَدْرس ونُدرّس، ولو بلغ عمرُنا الثّمانين عامًا، ولو هُدّمت بيوتنا، لن نقف عن الدّراسة والتّدريس، فمدارسنا هي طريقنا إلى الجنّة، وإن كنا نبحث عن طريقة لإسعاد النّاس فلن نجدها إلّا في العلم ومدارسته، لا نريد أن نكون عبيداً للبطن أو المال، بل نحن عبيد لله الّذي يطعمنا ويرزقنا"**.

ومن أشهر ما ينقل عن الشّيخ في هذا الشّأن قوله المشهور: "اجعلوا في كلّ حيٍّ مدرسةً للذّكور ومدرسةً للإناث".

كلّ هذه الأقوال النّيّرة زرعت في قلوب طلّاب الشّيخ ومحبّيه تعظيماً للعلم وافتتاح المدارس.

فلا عجبَ بعد هذا أن ترى آلاف المدارس المنتشرة في أنحاء تركيا وخارج تركيا في قارّات العالم الثّلاث إفريقيا وآسيا وأوروبّا من طلّابه ومحبّيه، تُعلّم العلم وتنشر النّور وتوحّد صفوف

الأمّة وتجمعها على العلم والإخلاص والتّربية والتّزكية ومحبّة الله وإحياء سنّة رسوله المصطفى ﷺ

وكلّ هذه المدارس تلتزم السّنّة المشرّفة المطهّرة في كلّ كبيرة وصغيرة حتّى في المظهر الخارجيّ للطّلّاب من جبّة وعمامة ولحية، لتكون مصدر إشعاع ينير الدّروب المظلمة ويُعِدّ الأجيال المسلمة الّتي ستحرّر بيت المقدس والمسجد الأقصى بإذن الله تعالى وتملأ الدّنيا علماً ونوراً، وتكون سببا لإنشاء جيل يكون لحضرة المهدي نصيراً.

وكانت منهجيّة الشّيخ محمود في التّعليم أن ينبّه على طلّابه ألّا يكون همّهم هو تحصيل الشّهادة فحسب، والهوس في أمر الشّهادة على حساب التّحصيل العلميّ، فالشّهادة الدّراسيّة قد تكون وسيلة لا غاية، فلا يجب علينا أن نلهث وراءها وننسى أنّ تحصيل العلم وأخذَه من أهلِه هو الغاية الّتي تُرضي اللهَ سبحانه وتعالى، لا الشّهادة الّتي نعلّقها على الجدران نتباهى بها وقد يكون المضمون فارغاً خاوياً.

فقد وصلنا إلى زمان أصبح فيه شيء يسمّى عقدة الشّهادة، تسابق وتنافس بين النّاس لتحصيل الشّهادات العالية من هنا أو

من هنا، ونسوا أن الأساس هو طلب العلم، فكان يبيّن لهذا الحقيقة ويؤسّسها بقوله لطلّابه: "**لا يكن همّنا هو تحصيل الشّهادات، ولكن ليكن أكبرَ همّنا مواصلةُ العلم واستمراره، وتحصيلُ الإجازات في حفظ القرآن وليس الشّهادات**".

ويبيّن أهمّيّة أخذ العلم من العلماء وعدم الاقتصار على الكتب، فالّذي يأخذ العلم من الكتب فحسب إنّما يكون (صُحُفِيّا) وليس مصحفياً وطالب علم، فيقول: "**لا يُتَحصّل العلم دون معلّم مرشِد**".

وكثيراً ما كان ينبّه على أهمّيّة تعلّم العلم ونشره أمام أيّ مسؤول في الدولة يلتقي به، ويقول ويكرّر القولَ جاعلَها حكمةً ومثلًا يغرسه في آذان المسؤولين عن الدولة وغيرهم: "الدّولة الّتي لا ينتشر فيها العلم يفشو فيها الظّلم".

ولعلّك إذا ما زرت اصطنبول مدينة الفتح العظيم الّتي بشّر بها نبيّنا المصطفى ﷺ بقوله كما في مسند الإمام أحمد

والمستدرك للحاكم، أنّ النّبي ﷺ قال: (لَتُفتَحَنّ القسطنطينيّة، وَلَنِعم الأمير أميرها وَلَنِعْمَ الجيش ذلك الجيش).

لعلّك إذا زرتها ومشيتَ في منطقة الفاتح خصوصاً، وباقي أحيائها عموماً فلا تلتفتُ يُمنةً ولا يُسرةً إلّا وتجد آثار تعاليم الشّيخ محمود أفندي ظاهرةً، النّساء اللّواتي يلبسن الجلابيب (الشّراشف) السّاترة، والرّجال الّذين يلبسون الجبّة والعمامة، والمدارس القرآنيّة والعلميّة قد زيّنت هذه المدينة الجميلة، وما كان ذلك ليكون لولا همّة الشّيخ محمود أفندي وباقي إخوانه من العلماء العاملين أهل العلم والذّوق، وجهادهم المتواصل، فجزاهم الله خيراً.

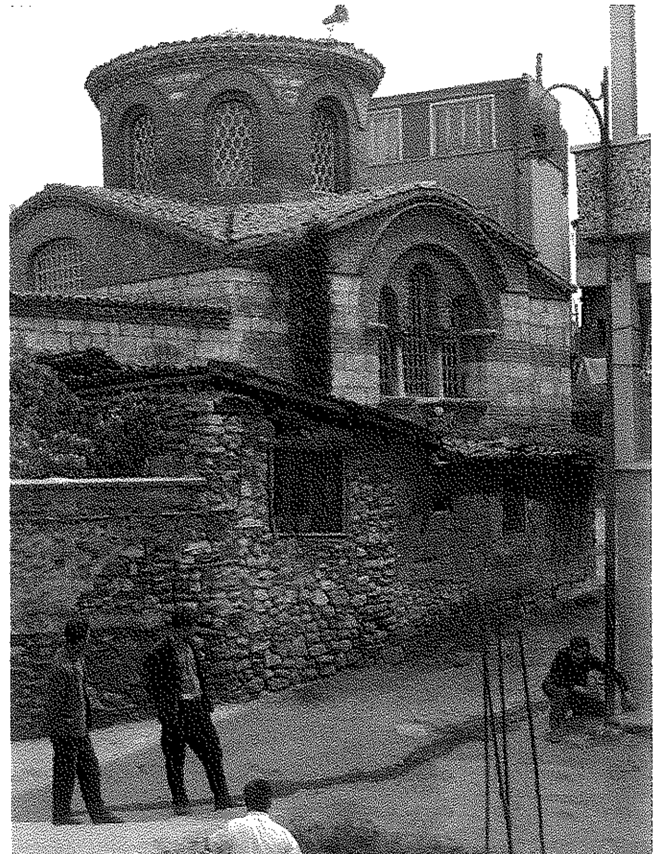
اهتمام الشيخ محمود بالتبليغ

كان ديدن الشّيخ محمود هو الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، لا يفتر عن التّبليغ مهما وقفت في وجهه العقبات من مرض أو ظروف أمنيّة أو عوارض عائليّة.

وكثيراً ما كان يبيّن أهمّيّة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر بأقوال نيّرة يبثّها لطلّابه بين الحين والآخر لكي ينقش في قلوبهم عظيمَ قَدْر هذه المسؤوليّة الّتي هي من صميم عمل المسلم، ممتثلًا قول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1]، وقول النّبيّ الأعظم ﷺ الّذي أخرجه التّرمذيّ بسند صحيح وأبو داوود، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ قال: (والّذي نفسي بيده لتَأمُرُنّ بالمعروف ولتَنْهَوُنّ عن المنكر، أو لَيُوشِكَنّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثمّ تدعونه فلا يُستجاب لكم).

١ـ آل عمران: ١٠٤.





فكان يقول لطلّابه مبيّنًا دور المدرسة وفائدتَها: "**لو كان كلّ بيت في اصطنبول هو مدرسة، ولا يوجد أمر بالمعروف ونهي عن المنكر فلا فائدة من تلك المدارس**".

وكان يغرس في قلوب محبّيه الشّفقة والرّحمة لعباد الله بدعوتهم إلى الله، وتحبيب الله إليهم ولا سيّما العصاة الّذين ابتعدوا عن الدّين وانغمسوا في الملذّات ونسوا الله.

فكان يوجّه طلّابه للرّحمة بهؤلاء العباد بقوله: "**من فضلكم ارحموا هؤلاء العباد العصاة، ولا تكرهوهم، أنقذوهم من الوقوع في نار جهنّم وتواضعوا لهم**".

ويردّد الشّيخ كثيرًا قولَ شيخه عليّ حيدر أفندي: "**إصلاح ديننا يكون بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وهدم الدّين يكون بترك الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر**".

ويبيّن لمحبّيه وطلّابه خطورة ترك واجب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر بقوله الّذي نقش في قلوب المحبّين: "**سبب هلاك بني إسرائيل هو تركهم الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر**

﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾[1] ، **فلننتبه إلى هذا الأمر الخطير معاشر المسلمين، أين نحن الآن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟**".

بمثل هذا المنهج الكريم استطاع الشّيخ أن يبثّ في قلوب طلّابه تعظيم هذه الشّعيرة العظيمة، ألا وهي الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر مع المواظبة عليها وعدم تركها أو التّهاون بها ، مع مراعاة الشّفقة على عباد الله والتّواضع معهم، وعدم رؤية النّفس أعظم وأرفع من الّذين ابتلاهم الله بالمعاصي، بل الحرص على إنقاذهم وهدايتهم.

١ـ المائدة: ٧٩.

اهتمام الشيخ محمود بالسنة النبوية

لا يكاد النّاظر في حياة الشّيخ محمود أفندي يرى يومًا أو حتّى ساعةً إلّا والشّيخ مشتغل في تطبيق أدقّ تفاصيل السّنة الشّريفة، حاله حال المحبّ لنبيّه المتتبّع لسنّته ﷺ في حاله وقاله.

إذ لا يخفى لِذِي لُبّ مكانة السّنّة عند المسلم المحبّ لرسول الله ﷺ تطبيقًا لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[1]، وهي السّياج الّذي يحمي الطّريقة الصّوفيّة من الابتعاد والزّيغ عن روح الشّريعة الغرّاء، فكم هناك من طرق انزلقت في مهاوي سحيقة بعيدة عن الشّريعة نتيجة ابتعادها عن سنّة خير العباد ﷺ. فها هو شيخ الطّريقة الرّفاعيّة الشّيخ أحمد الرّفاعي يعلنها قانونًا لا لبس فيه بقوله: "طريقنا هذه كتاب وسنّة"، وكلام سيّد الطائفة الجنيد قدّس سره: "علمنا هذا مقيّد بالقرآن والسنة" نص في المسألة.

وعلى منوال هؤلاء الأولياء الصّلحاء المحقّقين المدقّقين سار الشّيخ محمود أفندي حتّى اشتهر على ألسنة طلّابه ومحبّيه قوله:

١ـ آل عمران: ٣١.

"لرسول الله ﷺ أربعة آلاف سنّة، إذا رأيتموني أترك أربع سنن من سنن المصطفى ﷺ فلا تصلّوا خلفي".

وأصبحت هذه المقولة الذّهبيّة قاعدة أساسيّة يتربّى عليها طلّابه ومحبّيه، ويربّون عليها طلّابهم وأولادهم ونساءهم، ونتيجة لهذه النّظرة العظيمة للسّنة النّبويّة فإنّنا نجد أكثر طلّاب الشّيخ ومحبّيه قد تشرّبوا محبّة السّنّة الشّريفة، وأصبحت السّنّة النّبويّة لدى الشّيخ محمود وطلّابه سجيّة وطبيعة لا تكلّف فيها، وهو منهج الصّحابة الكرام الّذين تابعوا النّبيّ ﷺ بأقواله وأفعاله محبّةً وتعظيماً.

وقد أسلفنا الذّكر عن ذلك الرّجل من مدينة (سيواس) الّتي تبعد عن اسطنبول أكثر من ٩٠٠ كيلومتر إذ قال أمام بعض محبّي الشّيخ محمود أفندي لا أوفر لحيتي إلّا إذا جاء الشّيخ محمود أفندي وطلب منّي ذلك.

فتوجّه الشّيخ محمود بعد أن وصلت إليه مقولة الرّجل من اسطنبول إلى مدينة سيواس، قاطعاً مئات الكيلومترات، غير مبالٍ بمشاقّ الطّريق الطّويل حتّى وصل إلى المدينة وسأل عن بيت هذا الرّجل وزاره في بيته وطلب منه توفير لحيته، ثم قال بعد أن

أشفق عليه طلّابه ومحبّيه من عناء السّفر الطّويل: **"ألَا تستحقّ سنّة نبيّنا محمّد ﷺ أن نسافر لأجلها المسافات الطّويلة، ونحتمل قليلًا من التّعب والعناء".**

وبخصوص تعظيم السنّة النّبويّة ومحبّتها، ومحبّة صاحبها عليه أفضل الصّلاة وأتمّ التّسليم، وغرسها في قلوب طلّابه ومحبّيه، كثيرًا ما كان يردّد ويقول: **"أبو جهل أخرج النّبيّ ﷺ من مكّة، فلا تكونوا كأبي جهل فتخرجوا رسول الله ﷺ من قلوبكم".**

تنمّ هذه المقولة من الشّيخ عن عظيم المحبّة للسنّة وصاحبها ﷺ وعن قلب احترق حبًّا وشوقًا وشعورًا بالمسؤوليّة الكبيرة والخطيرة تجاه تطبيق السنّة بأدقّ تفاصيلها، فكأنّ الشّيخ أراد بهذه المقارنة وهذا التّشبيه البليغ أن يشعر طلّابه بضرورة الالتزام بالسنّة مع المحبّة التّامّة، وبخطورة هجر السنّة الشّريفة، وكأنّ تارك السنّة قد أخرج محبّة النّبيّ ﷺ من قلبه إذ أنّ الوازع الأوّل لتطبيق السنّة هي المحبّة، وهذا ما أراده الشّيخ بقوله: **"فلا تكونوا كأبي جهل فتخرجوا رسول الله من قلوبكم".**

ولَكَم كان الشّيخ محمود يكرّر على أسماع طلّابه ومحبّيه مقولته العظيمة، الّتي تهزّ المشاعر، وتؤثّر في القلوب، وتشعر

سامعها بالتّقصير والتّفريط تجاه سنّة خير البريّة عليه الصّلاة والسّلام، ألا وهي قوله لطلّابه: "إذا رأيتموني أترك ثلاث سنن من سنن المصطفى ﷺ فلا تصلّوا خلفي"، مربّياً طلّابه بهذه المقولة على تعظيم السّنّة، وعدم التّهاون بها.

وما كان في أسفاره الطّويلة المتعبة يترك سنّة التّهجّد والوقوف متضرّعاً بين يدي ربّه سبحانه، مع المواظبة على صيام الاثنين والخميس وغيرهما من الأيّام المسنونة صيامها، وإذا سئل عنها قال: "نداوم عليها في السفر حتى لا نتكاسل في الحضر".

منهج الشيخ محمود أفندي في التربية

لو تأمّلنا آيات القرآن الكريم وقرأناها قراءة متدبّر لوجدنا أنّها أكثر من ثمانين بالمئة قد احتوت على التّربية والآداب المتنوّعة مع الله، ومع الرّسول ﷺ، ومع النّفس، ومع الجار، حتّى مع العدوّ، إذ لا تخلو جزئيّة من حياة المسلم وإن دقّت إلّا وفيها تربية وأدب.

فالتّربية والأدب عنوان المؤمن، وهذا معنى قول الله تعالى مخاطبًا نبيّه المصطفى ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] وقد ورد في الأثر أنّه قيل للنّبيّ ﷺ ما هذا الأدب يا رسول الله؟ فقال: "أدّبني ربّي فأحسن تأديبي[2] "، وما التّصوّف إلا خُلقٌ وتربية وأدب.

فقد قالها أكابر أهل الطّريق في الرّسالة القُشَيرِيّة نقلًا عن الكتّاني: "التّصوّف خلق فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في التّصوّف".

١ـ القلم:٥.

٢ـ الجامع الصغير، عن ابن مسعود.

والمتتبّع لأقوال الشّيخ محمود أفندي يجد أن أغلبها جاءت على نحو هذا المضمار من التّربية والآداب وتأصيلها في قلوب طلّابه، مشيراً في كثير من أقواله إلى أنّ العلم بدون الأدب يكون وبالًا على صاحبه، ولا يُنتَفع من العلم إلّا مقترنًا بالأدب.

وأوّل طريق التّربية هو مخالفة النّفس الأمّارة بالسّوء، فنرى الشّيخ محمود أفندي يكرّر في أغلب مجالسه قول البوصيريّ المشهور:

وخالف النّفس والشّيطان واعصِهِما

وإن هما مَحّضاك النّصح فاتّهم

ولْنتعرف على منهج الشّيخ محمود أفندي في التّربية بشكل أدقّ من خلال حِكَمه الّتي كان يَزرعُها في قلوب الطّلّاب والمحبّين إذ يقول: "**كيف حكم الأولياء والعارفون على الطّير والحجر والوحوش؟ لأنّهم اتّخذوا مخالفة النّفس منهجاً، عندما قالت لهم أنفسهم اضّجعوا قاموا، وإن أمرَتْهم بالأكل أجاعوها، لذا سخّر الله لهم جميع المخلوقات وجعلها في خدمتهم، وقرّبهم إلى حضرة أنسه، ولو استطعنا أن نحكم على أنفسنا لسوف نحكم على**

كلّ شيء، ولو استفادت أنفسنا من أقوالنا لسوف يستفيد منّا كلّ شيء".

ولو أردنا أن نحلّل هذه الحكمة لوجدنا فيها منافعَ كثيرةً، إذ أنّ الشّيخ بدأها بصيغة السّؤال، وصيغة السّؤال من أعظم أنواع الأساليب التّعليميّة والتّربويّة، ونجدها كثيراً في كلام سيّدنا محمّد ﷺ، فهي توقظ الذّهن الخامل، وتفتح العقل المغلق، وتجلب الانتباه المشتّت.

ثمّ يأتي الجواب من نفس السّائل، ليبيّن أنّ سبب الإكرام الرّبّانيّ لعباده يبدأ من مخالفة النّفس، فطريق تزكية النّفس هي في مخالفتها، حتّى تترقّى لتصبح النّفس اللّوّامة الّتي أقسم اللّه بها لعظَمها ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾[1]

وعندما كان الشّيخ محمود يُسألُ عن الكرامة ويرى كثرة التّعلّق بالكرامة والاشتغال بها وكأنّها غاية ومقصد، كان يوجّه طلّابه إلى قول "شاه نقشبند البخاريّ قدس سره مؤسس الطريقة النقشبندية" قائلًا: "**الاستقامة عين الكرامة**".

١ـ القيامة: ٢.

فالشّيخ كان يوجّه طلّابه إلى عدم الاشتغال بالكرامات، وينبّه إلى أنّ فعل الأوامر وترك النّواهي هو الكرامة الحقيقية للمؤمن، وهذا المنهج هو لبّ الإسلام وفحواه، فكم انساق أناس ادّعَوْا سلوكهم في الطّريق وراء الكرامات وتركوا الشّرائع والفرائض، والسّنن السَّنِيَّة عن خير البريّة، وانزلقوا وراء أهواءهم تحت مسمّى الكرامة، فإذا لم تنضبط أفعال السّالك بأوامر الشّرع ونواهيه فقد أوعر الطّريق على نفسه، وزلّت قدمه عن جادّة الصّواب.

ثمّ يبيّن الشّيخ محمود أفندي هذه الحقيقة المهمّة بقوله لطلّابه يُعرِّفُ لهم من هو المتّقي، هل هو صاحب الكرامات الخارقة أم هو من يلبس لباساً يجعله متميّزاً عن غيره موحياً أنّه صاحب تقوى وصاحب كرامات، فيقول: "**المتّقي هو العبد الّذي لو أعطيت له الدّنيا بطولها وعرضها على أن يترك وقت صلاة فإنه يقف للصّلاة ويقول صلاتي خير من دنياكم، والمريد يرجح سنة الفجر على الجنان الثمانية**".

ويبيّن سبب قسوة القلب الّذي يشتكي منه كثيرٌ من المسلمين بقوله: "**إذا ترك المسلم ما فرضه الله عليه، قسى قلبه بقدر ما ترك**".

وفي مضمار التّزكية يقول الشّيخ محمود أفندي: "**الواجب على الإنسان أن يرى عيوب نفسه وقبائحها، لا أن يرى عيوب غيره وينسى عيوب نفسه**". فهذا أدب رفيع ربّى الشّيخ محمود طلّابه ومحبّيه عليه، الاشتغال بالنّفس وعيوبها وإصلاحها وعدم الاشتغال بعيوب النّاس، وهذا لا يتنافى مع الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، فلكلّ مقامٍ مقال، فالاشتغال بعيوب النّاس وعدم رؤية عيوب النّفس دليل العُجب والتّكبّر، أعاذنا الله منهما، لذلك نرى أنّ الشّيخ كان دائم التّوجّه إلى هذا المعنى خشية أن يدخل العُجب إلى النّفس فتهلك، فيقول مؤدّباً ومربّياً لطلّابه: "**إذا أعجبتك نفسك فإنّها لن تُعجب ربّك وخالقك سبحانه**"، فالمعجب بنفسه لن يكون مرضياً عند ربّه سبحانه، وهذا المرض من أشدّ أمراض القلوب خفاءً، يدخل إلى القلب كدبيب النّمل ولا يخرج منه إلّا بصعوبةٍ بالغة.

هذه الأقوال من الشّيخ محمود أفندي، وكثيرٌ من أمثالها لا يحتمل المقام ذكرها جميعًا خشية الإطالة، ما هي إلّا تأصيل لمعنى التّزكية والتّربية، وهو لُبّ التّصوّف وعنوانه، جعلها الشّيخ محمود أفندي قواعد أساسيّة، يتربّى عليها الأجيال، ينقلها طلّابه ومحبّيه الّذين سمعوا منه هذه الحِكم إلى طلّابهم وأبنائهم، وجمعوا من حِكمه الجمَّ الكثير، فطبعوها في مجلد ضخم، وهكذا إلى أن تستمرّ هذه التّربية جيلًا بعد جيلٍ إلى يوم القيامة إن شاء الله.

تربية الشيخ محمود أفندي طلابه على الإخلاص

الإخلاص هو ميزان العبوديّة للّه سبحانه، إذ أنّ أيّ عمل يخلو عن الإخلاص فهو مردود على صاحبه، ولا ينتفع العبد منه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[1]، وقد وجّه النّبيّ ﷺ القولَ لمعاذٍ عندما قال له: يا رسول اللّه أوصني، فقال: "يا معاذ أخلص دينك يكفيك العمل القليل"[2].

ولْنترك القول بعد ذلك للشّيخ محمود أفندي لِيبيّنَ لنا معنى الإخلاص وفحواه، ومعنى الرّياء فيقول: **"إنّ من أصعب الأمور في الدّنيا أن تُعبّر عن الإخلاص الّذي يسكن في قلبك، وأن تجعله كلمات على لسانك، فالإخلاص لا يعبّر عنه باللّسان، وإنّما هو تطهير القلب من الشّرك والنّفاق والرّياء والكبر والعجب والغرور والحسد والجهالة وقسوة القلب، والإخلاص هو أن تكون مصلحة الإسلام فوق مصلحتك الشّخصيّة، والإخلاص هو أن تقدم التّقوى على الفتوى، وأن تكون راغبًا في العزيمة أكثر من**

١ـ البينة: ٥.

٢ـ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن عمر بن مرة والحاكم "٣٤١/٤".

رغبتك في الرّخصة، فإن كنت صاحب إخلاص حتماً سيحفظك الله تعالى؛

ألم يحفظ الله سبحانه موسى عليه السّلام من بطش فرعون؟

ألم يخرج يونس من ظلمات بطن الحوت إلى النّور؟

ألم يحفظ رسول الله ﷺ مع أبي بكر في غار ثور؟

ومَنْ أصحاب الكهف؟ هل بقي لنا من أصحاب الكهف نومهم فحسب؟ فانتقلنا من أصحاب الكهف إلى أصحاب الكيف؟!".

بمثل هذه الكلمات القليلة المبنى الغزيرة المعنى شرح الشّيخ محمود أفندي ماهيّة الإخلاص، ضاربًا لنا أمثلة من حياة الأنبياء والأولياء، كيف رفعهم الله وحفظهم بإخلاصهم.

وقبل ذلك ذكر أنّ الإخلاص هو نظافة القلب عن كلّ وصف يبعدك عن الله، وعن كلّ معنى ينقص من قدر عبوديّتك لله، فالدّين والحفاظ عليه هو الأهمّ المقدّم على كلّ شيء. وبمعنى أدقّ فإنّ الإخلاص هو أن تقدّم التّقوى على الفتوى، إذا سألت عن أمر فقد يقال لك أنّه حلال، ولكن الأَوْلى تركه مخافة الشّبهة، فتترك هذا الأمر استبراءً لدينك، فالفتوى أنّ هذا حلال، والتّقوى



عدم فعله، وإن كان حلالًا لشبهة فيه قد تكون دقيقة وغير مؤثّرة في الحكم.

ثمّ يتابع الشّيخ محمود أفندي مبيّنًا لنا معنى الرّياء الّذي هو ضد الإخلاص فيقول بأسلوب سهل عذب ممتع: "إخوتي: في المكان الّذي ينتهي فيه الإخلاص يبدأ فيه الرياء، فالرياء يفسخ العبودية ويفسد العمل، والرّياء يبدل الشّفافية إلى ضبابيّة قاتمة، والرّياء أن تَخرج إلى الطّريق باسم الخالق ثمّ تدير دفّة القيادة نحو المخلوق، والرّياء أن ترجّح السّفليّ المادّي على العلويّ الرّوحيّ، والرّياء أن تستخدم شرف العبوديّة لله في شيء من الأمور السيّئة، والرّياء أن تطلب ريع العبادة قبل طلب أجرها من الله.

الشّرط الأوّل لإصلاح الدّنيا وإعادة إعمارها وتجديد إحيائها هو الإخلاص.

وكما يقال: المدفأة الّتي لا تعطي الدّفء لنفسها غير قادرة على إعطاء الدّفء للغرفة ولمن حولها.

ونقول أخيراً: بقدر ما تحافظ على الإخلاص تسلم من الكسل والتّردّد والذّلة ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1].

فالمسلم في منهج الشّيخ محمود أفندي صاحب شفافيّة راقية، وهذه الشّفافيّة تزداد بالإخلاص وضوحاً ونقاءً، حتّى يغدو صاحبها ينظر بنور الله، ويزول عن قلبه الرّان الّذي يحجبه عن مشاهدة آثار صنع الله في كلّ شيء في هذا الكون الفسيح، فيغدو مع الله وبالله ولله في كلّ كبيرة وصغيرة.

وأمّا الرّياء فإنّه يكون حجاباً سميكاً لهذا القلب، يصعب مع هذا الحجاب خشوع القلب.

فتصبح العبادات حركات لا روح فيها يبتغي العبد أجرها من غير الله، ولربّما أكل الدنيا بالدّين، واستبدل الّذي هو أدنى بالّذي هو خير والعياذ بالله، فإذا حلّ الرّياء قلب العبد، تبدّدت الشّفافيّة، وأظلم القلب وفسد العمل، فالله أغنى الشّركاء عن الشّراكة. **قال تعالى:** ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[2].

١ـ البقرة: ٢٥٠.

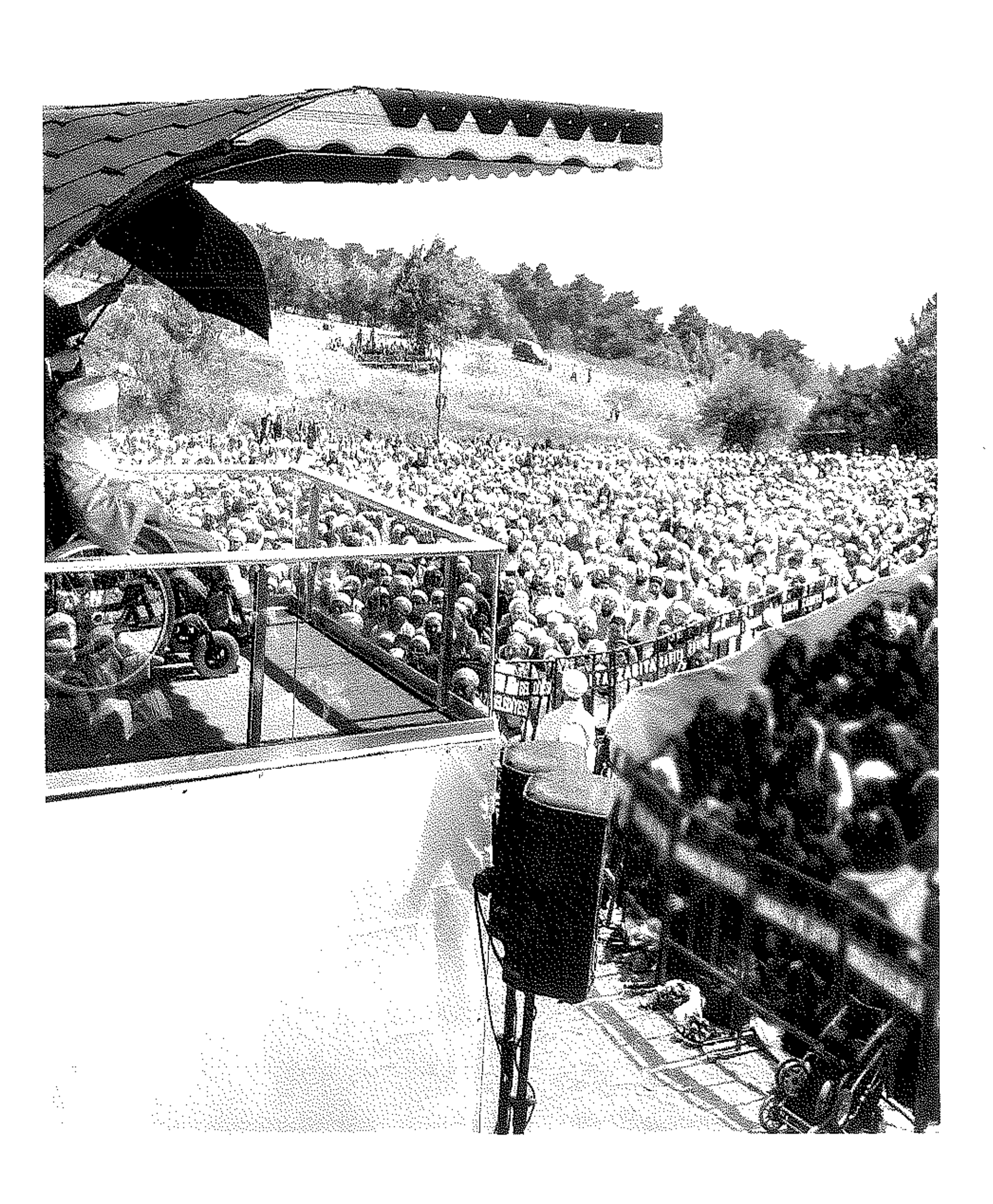
٢ـ الطففين: ١٤.

شهادة ومحبة العلماء وأهل الفضل
للشيخ محمود أفندي

نتيجة خدمة الشّيخ محمود أفندي للدّين والعلم خلال سنوات طويلة مليئة بالجّد والعمل رغم المصاعب والمتاعب، ونتيجة لروح الإخلاص الّتي تمتّع بها فضيلة الشّيخ محمود أفندي فقد ذاع صيته في مشارق الأرض ومغاربها وهو أبعد النّاس عن حب الشّهرة، فقد سمع يومًا من الأيّام أنّ أحد تلامذته افتتح مدرسة شرعيّة وسمّاها باسم الشّيخ محمود أفندي، فأرسل الشّيخ إليه وخاطبه مؤنّبًا: "**متى رأيتموني أدعوكم لشخصي أو لذاتي؟ ألم أدعكم إلى الله ورسوله؟، من أنا حتّى تسمّيَ المدرسة باسمي؟!**" ثمّ أمره أن يغيّر اسم المدرسة فيجعلها باسم أحد أصحاب النّبيّ الأعظم ﷺ، وسمع ذات مرّة أنّ بعض النّاس تسمّي جماعته بالجماعة المحمودية فوقف خطيبًا قائلًا: "**سمعت أنّهم يقولون عنّا المحموديّون، بالله عليكم أخبروني هل أحدثت دينًا جديدًا؟ إنّ لرسول الله ﷺ أربعة آلاف ونيّف من السّنن التي تطبّق في الحياة**

اليوميّة من رآني منكم قد تركت أربع سنن منها فلا يصلّين خلفي".

بهذه الصّفحة البيضاء النّيّرة انتشر ذكر الشّيخ محمود أفندي بين أهل العلم خاصّة، والنّاس عامّة، فلا نكاد نجد عالمًا من علماء المسلمين، إذا ما وصل إلى تركيا إلّا ويتشوّف لزيارة الشّيخ محمود أفندي وتهفو نفسه إلى الجلوس ولو لدقائق قليلة مع هذا العلم البارز، فعندما يسمع العلماء بمسيرة حياته، ويرون آثاره من خلال طلّابه الّذين انتشروا في أصقاع البلاد، والمدارس الّتي فتحت في قارّات العالم فضلًا عن تركيا. ويرون المظاهر الإسلاميّة الموافقة لسنّة خير البريّة ﷺ، يدفعهم الشّوق والمحبّة لزيارته، واغتنام الفرص السّانحة للّقاء به، ولو من خلف الزّجاج نظرًا لحالة الشّيخ الصّحّية الّتي ما عادت تسمح له باستقبال الضّيوف كالسّابق، إذ كان لا يحجب نفسه عمّن أراد زيارته ومجالسته، أمّا في الوقت الحالي فقد أجمع الأطبّاء على أنّه من الأفضل لصحّة الشّيخ تخفيف الزّيارة عنه، فالأمراض قد استفحلت على الشّيخ، وأثقلت جسده الّذي قضى ردحًا من الزّمن في السّفر داعيًا إلى اللّه، يصوم نهاره، ويقوم ليله، ولا يدّخر



جهداً في التّعليم والتّربية والتّزكية، حتّى بدت آثار ذلك واضحة في جسد الشّيخ شافاه الله وعافاه.

يقول الدّكتور الشّيخ المحدّث محمّد علويّ المالكي في حقّ الشّيخ محمود: "الشّيخ محمود أفندي حفظه الله مع كثرة مريديه ومحبّيه، صاحب تواضع عظيم، وهذا المقام الرّفيع لا يتحقّق إلّا في من وصل إلى مرتبة القطب، ولقد رأينا جماعات إسلاميّة كثيرة، بعضها اهتمّ بالعلم وأضاع التّصوّف، وبعضها اهتمّ بالتّصوّف وأضاع العلم، ولكنّ الشّيخ محمود أفندي وطلّابه ومحبّيه من الجماعات القليلة الّتي التزمت العلم والعمل والشّريعة والطّريقة، ولم تُغفل جانباً على حساب جانب آخر".

وقد أشار المحدّث الكبير الدّكتور عبد الفتّاح أبو غدّة رحمه الله بإشارة لطيفة عندما زار الشّيخ محمود أفندي في مسجده وتعرّف على طلّابه ومحبّيه، ورأى المنهج العلميّ والتّربويّ الّذي انتهجه الشّيخ محمود أفندي في مدارسه وبين أحبابه فقال: "ما رأيت جماعة متّبعة لسنّة رسول الله ﷺ وعلى رأسهم شيخهم كحال الشّيخ محمود أفندي في جماعته".

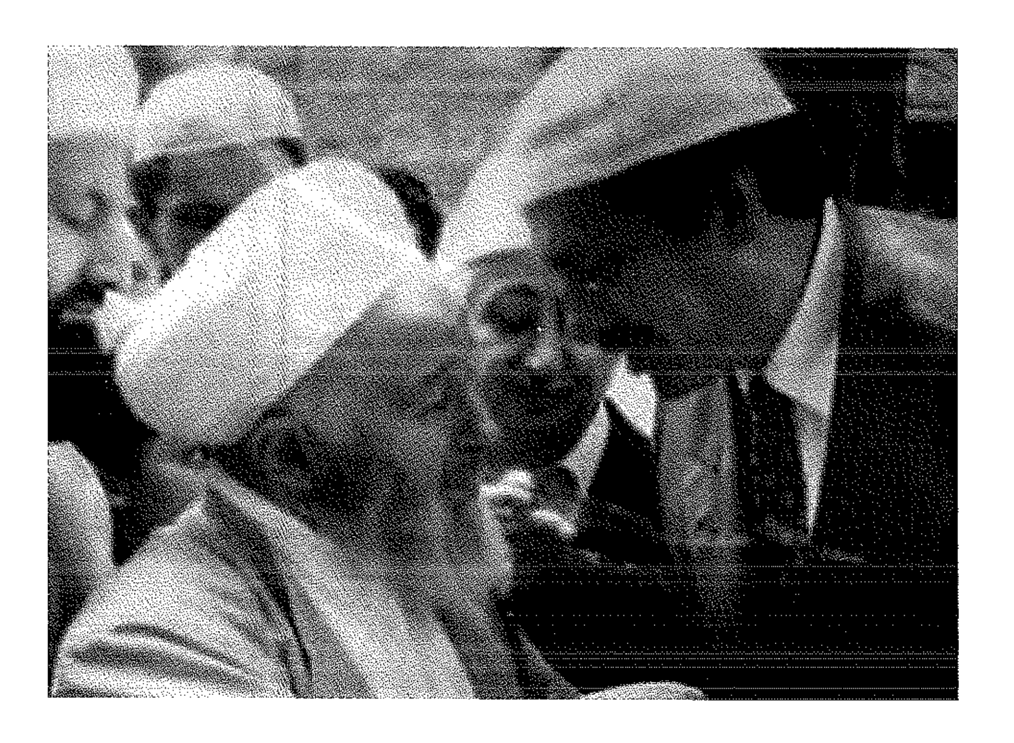
أما الدّكتور يوسف القرضاوي رئيس الاتّحاد العالميّ لعلماء المسلمين فقد قال في حفل كبير ضمّ آلاف النّاس ومئات العلماء: "في هذه السّنة يكرّم عالم تركيّ مسلم، له آثاره في تربية أتباعه على الإيمان والتّقوى وحسن السلوك واحترام العلم وأهله، العالم الرّبّانيّ الفاضل محمود أفندي النّقشبنديّ، عالم صوفي حنفيّ، ولكنّه ليس من الصّوفية المبتدعة الّذين يشيعون الخزعبلات والأباطيل، وينشرون البدع والضّلالات، بل هو ملتزم بكتاب الله وسنّة رسوله المصطفى ﷺ".

وقد قال الدّكتور محمّد عوّامة المحدّث المشهور في حقّ الشّيخ محمود أفندي مبيّنًا آثاره العلميّة الظّاهرة في طلّابه ومدارسه ومنهجه التّربويّ والتّعليميّ: "حفظ الله حضرة الشّيخ محمود أفندي، حقًّا لقد ملأ هذه البلاد علمًا".

وأما الشّيخ محمّد زكريّا البخاريّ رحمه الله رحمة واسعة وهو من كبار الأولياء في المدينة المنوّرة صلّى الله على ساكنها ومنوّرها، والمشهود له من علماء عصره بالزّهد والتّقوى والعلم والإخلاص، فقد قصّ أكثر من مرّة أمام جمع من المسلمين نقلوا عنه أنّه رأى رسول الله ﷺ في



رئيس الجمهور رجب طيب اردغان2014.08.09



المنام وهو يمشي، والشّيخ محمود أفندي يمشي خلفه ويضع قدمه على موضع قدم رسول الله ﷺ.

وهذا دليل واضح على اتّباع الشّيخ محمود أفندي لرسول الله ﷺ بأقواله وأفعاله، ومحبّته وتعلقه بجناب رسول الله ﷺ، فقد قال النّبيّ الأعظم ﷺ في الحديث المتّفق عليه، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من رآني في المنام فقد رآني فإنّ الشّيطان لا يتخيّل بي)[1].

ثمّ قال الشّيخ محمّد زكريّا البخاريّ للشّيخ محمود أفندي بعد هذه الرّؤيا: "إنّي لم أتمكّن من إكمال السّير والسلوك وأنا في بخارى، فهل لكم أن تكملوا لي السّير والسّلوك في الطّريق إلى الله؟! "، فأظهر الشّيخ محمود أفندي تواضعًا جمًّا للشّيخ محمّد زكريّا البخاريّ قائلًا له: "**لقد كمل سلوككم في عالم المعنى**".

١ـ صحيح البخاري - العلم (١١٠) صحيح مسلم - الرؤيا (٢٢٦٦).

وقال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله: "أنتم حفظتم سر الإسلام في تركيا"، وقال العلامة الصابوني: "الشيخ محمود ليس شيخ تركيا فحسب، بل شيخ الدنيا بأجمعها".

وهناك أقوال كثيرة لعلماء أهل فضل وعلم وصلاح قد يضيق المجال عن ذكرها، شهدوا فيها شهادة لا يبتغون من ورائها إلّا وجه الحقّ سبحانه، مبيّنين فضل وعلم وإخلاص وتقوى هذا العالم الرّبّانيّ، مادحين آثاره المنتشرة في تركيا وغيرها، شاهدين له ولطلّابه ومحبّيه بتطبيق الكتاب والسّنّة، وإحياء العلم والتّزكية، نسأل الله أن يجزيَهم خيراً.

رأي الشيخ محمود أفندي في السياسة

نظرًا لِمَا تحتويه السّياسة من تنافس على المناصب ومهاترات قد تصل أحيانًا إلى السّباب والشّتائم، وحبّ الظّهور والشّهرة، فقد أوضح الشّيخ محمود منهجه في هذا الشّأن، ألا وهو الابتعاد عن السّياسة بهذا المعنى الّذي يُشغل صاحب العلم عن علمه، بل ولربّما أدّى حبّ السّياسة والانخراط بها بعضَ أهل العلم إلى تسخير علمهم ليكون غرضًا سياسيًّا، بعيدًا عن مقاصد الدّين وأهدافه الّتي وضعها الله له، والانسياق وراء السّياسة بحلوها ومرّها.

فزلّت قدم بعد ثبوتها والعياذ بالله، ونرى ذلك ظاهرًا في أمثلة كثيرة ممن ادّعَوا العلم وبرزوا إعلاميًّا، ثمّ انخرطوا في أطوار السّياسة حتّى أدّى بهم الأمر أن يُسخِّروا كثيرًا من أحكام الدّين لنصرة مذاهبهم السّياسيّة، ويَلْوُوا عنق كثير من النّصوص الشّرعيّة لذلك.

من هذا المنطلق أعلن الشّيخ محمود أفندي منهجه مربّيًا عليه طلّابه قائلًا: **"لا علاقة لي بالسّياسة مطلقًا، ولا أريد كرسيًّا ولا منصبًا فيها، دعوني حتّى أعرض عليكم أوامر ربّي جلّ شأنه".**

"إنّني لا أفهم شؤون السّياسة، بل أنظر في الشّريعة فأبيّن أحكامها، وإنّ خالقنا لم يخلقنا من أجل كرسيّ أو منصب، بل لمعرفته تعالى وعبادته، وإنّ وظيفتنا هي إحياء النّاس بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، لا قتلُهم".

هذا المنهج الواضح الّذي لم يلتبس بدخان الدّنيا ولا مناصبها، جعل شخصيّات سياسيّة كبيرة ولها أوزانها يأتون إلى الشّيخ محمود أفندي، متواضعين له، يطلبون منه النّصيحة والإرشاد، ويأخذون برأيه في نواح كثيرة لِمَا رأَوا فيه من الحكمة والإخلاص وعدم حبّ الدّنيا.

ثمّ نرى الشّيخ يوجّه القولَ لطلّابه حاثًّا إيّاهم على الإقبال على العلم، وعدم الانخراط بالأمور السياسيّة على حساب العلم ونشره فيقول: **"علينا أن نخرج حبّ الرئاسة من القلوب، فقد قال أولياء الله رضي الله عنهم: آخر ما يخرج من قلوب العارفين حبّ الرّئاسة، ولذا يصعب التّخلّص من شهوة النّفس هذه".**

فقد بيّن الشّيخ أن خطر حبّ الرّئاسة يكمن في الهرولة العمياء نحو بريقها، فكم من محارمٍ انتهكت في هذا الطّريق.



مع رئيس الوزراء السابق د.نجم الدين اربكان





الخاتمة

هذا غيض من فيض من حياة هذا العالم الرّبّانيّ الّذي قضى سنين عمره في الدّعوة إلى الله والتّعليم والتّربية، وقد جاهد جهاداً كبيراً فضرب لنا أروع الأمثلة في الجِدّ والعمل وعدم التّقاعس.

استطاع هذا العالم الرّبّانيّ أن يكسب قلوب العلماء والعامّة بإخلاصه ومحبّته للسّنّة النّبويّة.

نزلت دمعته مرات عديدة، وما السّبب وراء تلك الدّموع؟ أهو لمنصب فقده؟ أم لدنيا ضاقت عليه؟ نزلت تلك الدّموع الكريمة لأنّه زار أحد المدارس في ليلة شاتية باردة، فوجد أنّ الطّلاب أصابهم البرد بسبب نفاذ الوقود وليس في يد الشّيخ في تلك اللّيلة ما يشتري به الوقود للمدرسة، فبكى ورفع يديه إلى الله متضرّعاً خاشعاً، فاستجاب الله دعاءه في تلك اللّيلة على يد أحد الفضلاء الّذين سخّرهم الله فأسرعوا لجلب الوقود للمدرسة، فتهلّل وجهه فرحاً عندما شعر الطّلاب بالدفء وتابعوا دروسهم.

عالم ربّانيّ اعتبره أغلب العلماء الّذين عاينوه أو الّذين اطلعوا على منهجه وآثاره وجهاده لنشر العلم والتّربية، مُجدّداً للأمّة على رأس القرن الخامس عشر على ضوء حديث النّبيّ ﷺ الصّحيح الّذي رواه أبو داوود بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنّه قال: "إنّ الله يبعث لهذه الأمّة على رأس كلّ مائة سنة من يجدّد لها دينها[1] ".

أراد الشّيخ محمود أفندي أن يربط النّاس بأصول دينهم، وأن يجعلهم يفتخرون بسلفهم الصّالح، فيروا من الصّحابة قدوةً لهم، فكما قال أهل العلم: "من ضيَّع الأصول حُرِم الوصول".

زرع في القلوب محبّة الأصول، وتعظيم العلم وأهله، فانتشر العلم في أنحاء واسعة من بلاد تركيا وخارج تركيا بفضل هذه الرّوح المعنويّة الّتي بثّها الشّيخ في محبّيه وطلّابه، وقد زادت بفضل تعاليم الشّيخ وتربيته العالية لطلّابه وأمره إيّاهم بنشر العلم عدد المدارس في أفريقيا عن الأربعين مدرسة، علاوةً عن المدارس الّتي في آسيا وأوروبّا، ومئات الآبار والمساجد الّتي فتحت في أفريقيا، ودخل كثير من النّاس الإسلام بسببها بفضل تعاليم

1ـ أخرجه أبو داوود في كتاب الملاحم برقم: ٣٧٤٠.

الشّيخ بغية نشر العلم ورحمة للمستضعفين الّذين يحتاجون إلى مدّ يد العون من إخوانهم الّذين يؤثِرون على أنفسهم ولو كان بهم خَصَاصة.

أضِف إلى ذلك مئات الآلاف من الأضاحي والنّذور الّتي ترسل إلى المحتاجين في قارّات العالم الثّلاث ولا سيّما أفريقيا الّتي تتطلّع في كلّ سنة إلى هذا الخير الواصل إليها من تركيا عامّة ومن محبّي وطلّاب الشّيخ محمود أفندي خاصّة، وهذا الخير الكثير يرجع بالفضل بعد الله سبحانه إلى فضيلة الشّيخ محمود أفندي لِما غرس في طلّابه من خلق التّراحم والشّعور بحاجة المحتاج وإيثار الغير على النّفس، وتأصيل مبدأ الأخُوّة الإيمانيّة الّتي حثّنا الله عليها وأمرنا بها بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1].

ولو أردنا أن نستطرد القول عن مواقف وأقوال وأحوال هذا العَلَم الكبير، لكتبنا أضعافًا مضاعفة عن هذه الوريقات، ولكنّنا توخينا الإيجاز والاختصار ليسهل مطالعة هذا الكتيّب.

ولعلّنا إن شاء الله نفرد كتابًا خاصًّا لأقوال وحِكم الشّيخ محمود أفندي مشروحة ومبينة، ليتعرّف الجيل أكثر على عظماء

١ـ الحجرات: ١٠.

أمّته، فيقتدي ويرتقي ويتعالى شيئًا فشيئًا عن سفاسف الأمور إلى المعالي وقمم الجبال، ويعلن منهجه في محبّة أهل العلم والفضل رافعًا صوتَه قائلًا:

لي سادة من عزهم أقدامهم فوق الجباه

إن لم أكن منهم فلي في حبّهم عزّ وجاه

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

كتبه محمد علي المسعود

إسطنبول المحروسة

شهر رمضان المبارك

عام ٢٠١٨

تقبله الله

الفهرس